(٢)
إدارة الاستراتيجيات

obeikan.com

غير التماثل واللا تناظر

أول شيء فى طريقة تفكير العقل الاستراتيجى للجماعات المسلحة، هو صناعة التنظيم اللا متماثل، وغير المتناظر.

الجماعات المسلحة، منها على سبيل المثال لا الحصر، «داعش»، تفتح الإمكانية للمشاركة أمام المتعاطفين مع الجهاد، وتحول نبضاتهم العاطفية إلى ظاهرة يتم توجيهها واستثمارها، ثم تقوم بإنشاء خلايا متنوعة لا ترتبط تنظيميًا، وهى ما يسمى بمرحلة الإعداد، وتبدأ فى العمليات الصغرى، وتنتهى بالعمليات الاستراتيجية المعقدة، بكل أشكال ومستويات عمليات العصابات، سواء كانت فى المدن أو الأرياف، وهى المرحلة التى تسمى التوازن، حتى ينتهى التنظيم إلى ما يسمى بمرحلة الحسم.

ما تستخدمه تلك الجماعات فى الواقع ليس جديدًا، بل هو شكل قديم جدًا من أشكال الحروب غير المتماثلة، لا يستخدم الطرفان فيه نفس أدوات المواجهات العسكرية أو استراتيجيات القتال، كما لا يوجد فيه مسرح عمليات يلتقى فيها الطرفان فى إطار «حلبة» معينة، ويستخدم كل طرف فيه أسلحة غير متناظرة.

يتمتع «العدو» فى الحرب غير المتماثلة بتكتيكات متنوعة وقدرات احترافية وتنظيم حديدى سري، ويعيش دائما فى حالة «كمون» وليس فى حالة «نوم»، بما يجعل تحقيق الأهداف التى يسعى للوصول إليها هذا التنظيم الإرهابي، أو ذاك ممكنةً لفترة من الوقت.

على هذا فقد جربت دول كثيرة المواجهة مع تلك التنظيمات لفترة طويلة من الوقت، وحقق بعضها نجاحًا بلا شك فى أوقات كثيرة، لكنها فشلت فى أوقات أخرى، لأن الجيش النظامى يواجه قوات غير نظامية، ولا يملك الأدوات العسكرية ذاتها المطلوبة، وليس لديه مسرح للعمليات محدد، ويواجه قوة غير نظامية عسكرية غير معروفة المكان والمرتكزات، لا فى الزمان ولا فى المكان، وتحاول جر القوات النظامية للدول، إلى منازلات مباغتة وصغيرة، من أجل تقويض الروح المعنوية.

إن أفضل حل لمواجهة تلك «الحرب اللامتماثلة» يكمن فى تجريدها من أهم ميزة وهى أنها «لامتماثلة»، بجعلها حربًا متماثلة، فى تشكيل الخلايا العسكرية، والمجموعات الدعائية الإعلامية، على سبيل المثال.

على هذا لا بد أن تخلق الدولة تنظيمات مشابهة للتنظيمات المسلحة فى قدراتها، وتشكيلاتها، وانتشارها، وتسليحها، وسرعة حركتها، وجرأتها، ستكون هى المنوطة ساعتها بوضع الإرهابيين فى موقع المدافع، وتهجم على نقاط تجمعاتهم، وخطوط إمدادهم اللوجستى.

الخطوة الأهم، هى تطوير مجموعات بديلة عن الإعلام الرسمى أو المستقل، تتحاور مع المستهدفين بالتجنيد، عبر المنتديات والمواقع، المسماة جهادية، وصولاً إلى مواقع التواصل الاجتماعى.

وتقوم قوات الدولة المتماثلة مع الجماعات المسلحة على عقيدة قتالية تؤمن بلا حدود أن بقاء الدولة هو واجب دينى ووطني، وأن فقدانها بعضاً من قواتها هو شهادة، ما يدفعها للبحث عن الموت، والاستشهاد، من أجل قلب المعادلة، وتحويلها، بدلاً من الدفاع، إلى الهجوم.

يرى صناع السياسات الأمريكية أن المجموعات غير المتماثلة المسلحة فى ظل الظروف المناسبة قد تستطيع أن ترجح كفتها أمام «الجيش التقليدي» حتى

لو كان الأخير يمتلك مميزات خارقة فى الجو أو البحر أو فى القدرة النارية. لذا فقد رأوا أنه لا بد من تشكيل قوات متماثلة معها فى العدد والعدة، والعقيدة القتالية، والأخذ فى الاعتبار النواحى المعنوية، ودور السكان المحليين.

ما ظهر لنا من جماعة «داعش» وعملياتها أنها عمليات مركبة تحدث فى توقيتات متزامنة، وتريد إحداث أكبر قدر من الخسائر البشرية والمادية فى صفوف الجيش النظامي، مما يحتاج إلى تفكير غير تقليدى للمواجهة، وتشكيل قوات متماثلة معه، وتكوين ارتباطات متشابهة مع مجموعات متماثلة أخرى عابرة للحدود.

من هنا لا بد أن نفرق بين مختلف المستويات فى التنظيمات الإرهابية، بين مجموعة وأخرى من حيث الإعداد العسكرى والمادى واللوجيستي، فمنها الخلايا التى تتكون من الأفراد والمجموعات الصغيرة محدودة الإمكانيات، من حيث التمويل أو من حيث مستوى التدريب، والسرايا العسكرية العامة، التى تتكون من الأفراد الذين سبق لهم التدريب على استخدام الأسلحة الخفيفة الفردية والمتفجرات بمستوى متوسط، من بقايا خلايا التيار الجهادى وتنظيماته، وأخيراً السرايا النوعية، وهى عالية الإمكانيات الأمنية والحركية والعسكرية والمادية، وتتشكل من العناصر أو المجموعات التى كانت قد تلقت تدريباً عالياً على العمل السرى والإرهاب المدني، وإدارة الخلايا فى حروب العصابات والمتفجرات، وكل من هؤلاء يتطلب قوات متماثلة معها بنفس القدرات.

الخلاصة، نحن نواجه تهديدات إرهابية ستطول الحرب معها، طالما أننا نستخدم مواجهة تقليدية، وهى تواجهنا بطريقة غير تقليدية، وغير متناظرة، أو بمعنى أدق، تواجهنا بحرب غير متناظرة، أو متكافئة، من ناحية الأدوات والأسلحة، والطريقة فى المعركة، فضلاً أن هناك ديناميكيات سياسية أحياناً تكون ذات أثر مدمر على جهود محاربة هذه التنظيمات، على سبيل المثال ذلك الدور البارز للحشد الشعبى الذى يؤجج الانقسامات الطائفية، ويغذى

التطرف فى المناطق السنية بالعراق.

داعش طبق حربًا غير متناظرة أو لامتكافئة، وتحول من خلايا إلى مجموعات تعتمد حرب العصابات، ثم إلى ميليشيا، مطورًا الخلايا العنقودية إلى جيش يخوض مواجهات شاملة مع توظيف التكنولوجيا، والاعتماد على الانتحاريين، فى مسرح عمليات يمتد على ٤٠ بالمئة من جغرافيا سوريا والعراق، وعقب الهزائم المتتالية للتنظيم مؤخرًا، كان واضحًا من خطاب متحدثه الإعلامى، أنه يتوقع تقهقره إلى نهاية ستجعله يتحول من (إمساك الأرض)، إلى العودة للخلايا السرية المتوحشة، وإلى مجموعة من النسخ الداعشية غير المتماثلة معنا أشد تشددًا وعنفًا.

obeikan.com

التوحش وشوكة النكاية

«إدارة التوحش» هو أخطر كتاب لتنظيم القاعدة؛ إذ يعتبر مرجعية لكيفية الوصول إلى مرحلة الفوضى فى البلاد التى يعمل بها التنظيم، ومن ثم يشرح كيف يتم التدريب عليها، وكيفية إدارة «شوكة النكاية والإنهاك» للدولة عبر مجموعات خاضعة له، كأنصار بيت المقدس وأنصار الشريعة، وهو ما حدث فى اليمن ومصر وليبيا، حتى يصلوا للمرحلة الثالثة والأخيرة التى تقود إلى «التمكين»؛ أى إقامة الدولة الإسلامية، حسب الخطاب الجهادى.

مؤلف الكتاب شخصية غامضة لحد كبير (أبو بكر ناجي[٤١])، ومما لا ريب فيه أنه اسم وهمى، إلا أن البعض من الجهاديين أكدوا أنه مجموعة من الدروس التى كان يدرسها الضابط المصرى سيف العدل، فى معسكرات القاعدة بأفغانستان لأعضاء التنظيم، والتى جمعها تلاميذه من بعده، لمجلة صوت الجهاد. لا يعرف وقت محدد لصدور هذا الكتاب، إلا أنه بدأ فى الظهور مع التحولات الاستراتيجية التى شهدتها الحركة السلفية الجهادية، من مقاتلة «العدو القريب» المتمثل بالنظم السياسية العربية والإسلامية التى تنعتها بـ«المرتدة»، إلى مقاتلة «العدو البعيد» المتمثل بالغرب عموماً والولايات المتحدة الأمريكية خصوصاً، وكيفية القضاء عليها، بإثارة الفوضى فى الأنظمة القريبة منها، ومن ثم السيطرة على الأقطار العربية. اهتم المختصون الأمريكيون والغربيون بترجمة الكتاب، وترجم مركز مكافحة الإرهاب فى كلية (ويست بوينت) العسكرية الكتاب إلى الإنجليزية بعنوان «إدارة الوحشية» وتم توزيعه على المسئولين فى الدوائر السياسية للحكومة، والمسئولين فى وزارة الدفاع. مؤلف الكتاب يؤكد أنه

٤١- أنا أميل إلى أنه القيادى فى الجماعة الإسلامية، محمد خليل الحكايمة، وألفه فترة هروبه بإيران، وعمله بإذاعة طهران، وقد قتل بعدها بأفغانستان.

لا حل للوصول إلى الخلافة الإسلامية إلا عبر ٣ مراحل هى: «النكاية»، و«التوحش»، المقصود به الفوضى، ثم «إدارة التوحش»، بمعنى إدارة المناطق التى تمت السيطرة عليها، وهى المرحلة الأخيرة، التى سينتقل بعدها التنظيم إلى احتلال البلاد المجاورة، أو يوجه هجماته منها إلى أنظمة حاكمة قريبة عبر المرحلة الثانية وهى النكاية والإنهاك، حتى يأتيها التمكين والمجموعات المسلحة من الخارج، وهذا إلى حد قريب ما نجحت فيه تنظيمات السلفية.

يشرح «إدارة التوحش» كيف كانت استراتيجية القاعدة العسكرية، التى تبدأ باستفزاز الفيل الأمريكى لاحتلال بلاد المسلمين، ومن ثم إيقاظ الوعى لدى عامة المسلمين، وحشد المجاهدين لمقاومة احتلال الغرب، ثم صناعة تنظيمات إقليمية تحت وعاء الجماعة الأم، وبعدها الانتقال إلى إثارة الفوضى ومقاومة الأنظمة العربية والإسلامية القريبة وإسقاطها. وأكد أبوبكر ناجى أن حركة التجديد الجهادية المعاصرة خلصت بعد أن عركتها الأحداث والمعارك وتراكمت لديها الخبرات خلال أكثر من ٣٠ عامًا، إلا أن عليها القيام ببعض العمليات النوعية المرتبة بنظام معين والتى بدأت بعملية نيروبى ودار السلام لتحقيق الأهداف التالية: إسقاط جزء هام من هيبة أمريكا وبث الثقة فى نفوس المسلمين من خلال كشف الهالة الإعلامية الكاذبة بأنها قوة لا تقهر، وجعل أمريكا تستبدل حربها على الإسلام من نظام الحرب بالوكالة إلى أن تحارب بنفسها، ثم خلع الأنظمة القريبة منها. وقال: إننا نجحنا فى حشد أتباع جدد لنا بعد انبهارهم بالعمليات التى واجهنا بها أمريكا، وبسبب غضبهم من التدخل الأمريكى السافر والمباشر فى العالم الإسلامي، وتراكم ذلك الغضب فى مجموعات جديدة للتنظيم.

«التوحش» وليس «الفوضى» يريد أبوبكر ناجى أن يسيطر التنظيم عبر الجماعات المتحالفة معه على منطقة، تكون فى وضع يشبه وضع أفغانستان قبل سيطرة طالبان، منطقة تخضع لقانون الغاب بصورته البدائية، مما يجعل أهلها

الأخيار يتعطشون للقاعدة لكى تحكمهم. وقال إنها ليست فوضى بل توحش؛ لأنها ليست إدارة لشركة تجارية أو مؤسسة تعانى من الفوضى أو مجموعة من الجيران فى حى أو منطقة سكنية أو حتى مجتمعاً مسالماً يعانون منها، لكنها طبقاً لعالمنا المعاصر ولسوابقها التاريخية المماثلة، وفى ظل الثروات والأطماع والقوى المختلفة والطبيعة البشرية وفى ظل الصورة التى نتوقعها، يكون الأمر أعم من الفوضى، مما يجعل العقلاء يقبلون أى تنظيم من الأخيار أن يدير هذا التوحش، بل ويقبلون أن يدير هذا التوحش، قبل أن تتحول هذه المنطقة إلى مزيد من التوحش!! وأكد أن إدارة التوحش قامت فى تاريخنا الإسلامى مرات متعددة، وأول مثال لها كان بداية أمر الدولة الإسلامية فى المدينة، وباستثناء الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية وبعض الدول أو الدويلات التى كانت على أطراف الجزيرة كان النظام القبلى فى الجزيرة يقوم على نظام مشابه لنظام إدارة التوحش، ويمكن اعتبار المرحلة الأولى من العهد المدنى، قبل استقرارها وإقامة دولة تأتيها الزكاة والجزية، مشابهاً لذلك، حيث أديرت المدينة بنظام إدارة التوحش. النكاية والإنهاك للدول والأنظمة قبل الفوضى. يؤكد تنظيم القاعدة فى كتابه أن مراحل وصوله للتمكين وإقامة الخلافة هى «شوكة النكاية والإنهاك»، ثم مرحلة «إدارة التوحش»، ثم مرحلة «شوكة التمكين وقيام الدولة»، وأن هناك من الدول من يستمر التنظيم فى النكاية بها وإنهاكها بسبب قوة حكومتها حتى تأتيها شوكة التمكين من الخارج. ورشح نيجيريا والمغرب واليمن ومصر وباكستان والعراق وبلاد الحرمين، كدول أولى فى مرحلة الإنهاك للأنظمة، وقال إنه من المحتمل أن تمر بعض الدول غير الرئيسية بنفس مراحل الدول الرئيسية التى رشحها التنظيم تبعاً لتطورات الأحداث. وقال: «نستطيع القول إن الأمر فيه من المرونة بحيث يتغير تبعاً للتطورات، فهذا الترشيح مبدئى -بالطبع- وإلا فإن لأهل كل منطقة من هذه المناطق -ما صدقوا مع الله ثم مع أنفسهم- النظر بدقة أكبر فى إمكانية تحركهم بصورة مركزة أم لا -هذا أولاً- أما ثانياً فإن المقصد من الترشيح أن هذه هى أقرب الدول المرشحة إلا أنه لا

بأس، بل قد يكون من الأفضل الاقتصار على بلدين أو ٣ تتحرك بصورة مركزة على أن تتحرك باقى الدول على نفس الطريق». وأضاف: «ندرك أن الإنهاك الذى كان تقوم به طائفة العلم والجهاد هو الذى حقق النصر فى المعارك الكبرى لا المعارك الكبرى ذاتها، بل لم تكن هذه المعارك الكبرى كحطين إلا محصلة لمعارك صغيرة لا تكاد تذكر فى التاريخ، لكنها كانت الأرقام الأولى لتشكل النصر الكبير النهائى». كما قال: «علينا أن نركز على تلك الدول أولاً، حتى لا تتشتت القوة الضاربة للمجاهدين فى دول لا مردود من وراء العمل المركز فيها، وبالطبع هذا الترشيح المبدئى النظرى يتيح لأهل كل بلد إمعان النظر واتخاذ القرار».

obeikan.com

الدول المرشحة للفوضى:

لعل ما يجرى فى سيناء هو بعينه الذى وضعه الكتاب عن تلك الخصائص وصفات الدول المرشحة من قبل التنظيم لإثارة الفوضى، وأهمها وجود عمق جغرافى وتضاريس تسمح فيها بإقامة مناطق تدار بنظام إدارة التوحش، وضعف النظام الحاكم، وضعف مركزية قواته على أطراف المناطق فى نطاق دولته، بل وعلى مناطق داخلية أحياناً، خاصة المكتظة، ووجود مد إسلامى جهادى مبشر فى هذه المناطق، مع البيئة الحاضنة وطبيعة الناس فى هذه المناطق، التى تسمح بوجود أفراد القاعدة وإيوائهم، كذلك انتشار السلاح بأيدى الناس فيها. وقال: «إن من تصاريف الأقدار المبشرة -بإذن الله- أن أغلب الدول المرشحة هى فى جهات متباعدة مما يصعب مهمة أى قوات دولية فى الانتشار فى مساحة واسعة فى عمق العالم الإسلامى». وقال: «الأمر باختصار أن مرحلة شوكة النكاية والإنهاك عن طريق مجموعات وخلايا منفصلة فى كل مناطق العالم الإسلامى، الرئيسية وغير الرئيسية، حتى تحدث فوضى وتوحش متوقعة فى مناطق عديدة بالدول الرئيسية المختارة طبقاً للدراسات التى وضعناها كما قلنا، بينما لن تحدث فوضى فى مناطق باقى الدول لقوة الأنظمة فيها وقوة مركزيتها، ثم ترتقى مناطق الفوضى والتوحش إلى مرحلة إدارة التوحش، بينما تستمر باقى مناطق ودول العالم الإسلامى بجناحين، هما الدعم اللوجستى لمناطق التوحش المدارة بواسطتنا، وجناح شوكة النكاية والإنهاك للأنظمة حتى يأتيها الفتح من الخارج بإذن الله، ونقصد بالدعم اللوجستى «المال»، «محطة انتقال الأفراد»، «إيواء العناصر»، و«الإعلام».

معنى «شوكة النكاية والإنهاك» أنه ستبدأ الجماعات المتحالفة مع القاعدة مثل «داعش»، و«النصرة»، أو «جيش الإسلام»، و«أنصار بيت المقدس» مواجهة قوات «الردة»، والأنظمة العميلة لها، وتشتيت جهودها والعمل على

جعلها لا تستطيع أن تلتقط أنفاسها، وذلك فى مناطق الدول الرئيسية المرشحة وغير المرشحة، بعمليات صغيرة الحجم أو الأثر، على سبيل المثال «لو ضربة عصا»، وفق الكتاب.

وقال: «إن انتشار العمليات الصغيرة وتصاعدها سيكون له تأثير على المدى الطويل، مثل جذب شباب جدد للعمل الجهادى عن طريق القيام كل فترة زمنية مناسبة من حيث التوقيت والقدرة بعمليات نوعية تلفت أنظار الناس، مع ملاحظة أنه يجب أن تُحسب قيمة العملية العادية الصغيرة جيداً ونتائجها، فأحياناً تؤدى العملية الصغيرة لمفاسد أو مشاكل أو كشف مجموعات أخرى تُحضّر لعملية نوعية متوسطة، وإذا كان من يقومون بعمليات صغيرة قادرين على الترقى وتطوير أنفسهم للقيام بعملية نوعية متوسطة فعليهم ذلك حتى لو تم إلغاء العملية الصغيرة من أجلها، إلا أنه فى الجملة أفضل طريق للترقى للمجموعات الناشئة للقيام بعمليات نوعية هو القيام بعمليات صغيرة فى البداية، ما التزموا بتحركات واحتياطات سليمة». وأكد أن الهدف من العمليات الصغيرة هو إخراج بعض المناطق من سيطرة «أنظمة الردة»، وهو الهدف الذى يعلنه القاعدة وتنظيماته المتفرعة، ويعقدون النية عليه لإحداث الفوضى.

وأضاف: إننا قد نفاجأ بسقوط مناطق فى أطراف أو فى عمق دول «غير مرشحة» مثل سوريا فى الفوضى والتوحش، وهنا لا يخلو الأمر من احتمالين: إما أن توجد تنظيمات إسلامية فى تلك المناطق قادرة على إدارة هذا التوحش، أو لا توجد، وفى هذه الحالة إما ستقع تحت قبضة تنظيمات غير إسلامية، وهنا لا بد من التنبيه على ضلال دعوة بعض قادة الحركات المهترئة بوجوب الحفاظ على النسيج الوطنى.

من أهداف مرحلة «شوكة النكاية والإنهاك»، وفق الكتاب، الارتقاء بمجموعات النكاية بالتدريب. مهمات إدارة التوحش وضع الكتاب عدة

مهمات على عاتق التنظيمات المسلحة أولها، السيطرة على مناطق الفوضى، وتوفير الطعام والعلاج والنفقات، وتأمين المنطقة عبر إقامة التحصينات الدفاعية وتطوير القدرات القتالية. كما أشار إلى استكمال إنشاء جهاز استخبارات خاص مصغر، عبر تأليف قلوب «المرتدين»، وفق الكتاب، بشيء من المال.

طالب مؤلف الكتاب بردع المنافقين بالحجة وغيرها، وإجبارهم على كبت وكتم نفاقهم، وعدم إعلان آرائهم المثبطة، ثم العمل على الوصول للتمكين من التوسع، ومن الإغارة على الأعداء لردعهم وغنم أموالهم وإبقائهم فى توجس دائم وحاجة للموادعة، وبعدها يتجه التنظيم لإقامة التحالفات مع من يجوز التحالف معه ممن لم يعط الولاء الكامل للإدارة، حتى الوصول لشوكة التمكين والتهيؤ لقطف الثمرة وإقامة الدولة. وفى مرحلة النكاية هناك أهداف للتنظيم منها الاستمرار فى الإنهاك بقدر الإمكان، وإنشاء شبكة دعم لوجستى لمناطق التوحش، وإذا حدث تعارض بينهما يقدم الأنسب والأفيد».

obeikan.com

خطة العمل والتحرك:

تبدأ خطة التحرك للتنظيمات الجهادية بضربات متسلسلة للأنظمة لإسقاط هيبتها، مما سيحدث مدًّا للتيار الجهادى يفوق أضعاف ما خسره من قبل، وهنا سيحتدم الصراع، وستُشَن حرب محدودة، وفى هذه الحالة لن يشفى غليلها ولن تنجح فى تطويق هذا المد المتصاعد، الذى سيبلغ العشرات من المجموعات الجديدة. وقال الكتاب: «لا بد من تنويع وتوسيع ضربات النكاية فى العدو الصليبى والصهيونى فى كل بقاع العالم الإسلامى هم وأتباعهم من الأنظمة، بل وخارجه إن أمكن، بحيث يحدث تشتيت لجهود حلف العدو، ومن ثم استنزافه بأكبر قدر ممكن، فمثلاً: إذا ضرب منتجع سياحى يرتاده الصليبيون فى إندونيسيا سيتم تأمين جميع المنتجعات السياحية فى جميع دول العالم بما يشمل ذلك من شغل قوات إضافية أضعاف الوضع العادى وزيادة كبيرة فى الإنفاق، وإذا ضرب بنك ربوى للصليبيين فى تركيا سيتم تأمين جميع البنوك التابعة للصليبيين فى جميع البلاد ويزداد الاستنزاف، وإذا ضربت مصلحة بترولية بالقرب من ميناء عدن ستوجه الحراسات المكثفة إلى كل شركات البترول وناقلات وخطوط أنابيبها لحمايتها وزيادة الاستنزاف، وإذا تم تصفية ٢ من الكتاب المرتدّين فى عملية متزامنة ببلدين مختلفين فسيستوجب ذلك عليهم تأمين آلاف الكتاب فى مختلف بلدان العالم الإسلامى، وهكذا تنويع وتوسيع لدائرة الأهداف وضربات النكاية التى تتم من مجموعات صغيرة ومنفصلة، مع تكرار نوع الهدف مرتين أو ٣ ليتأكد لهم أن ذلك النوع سيظل مستهدفاً». وطالب أبوبكر ناجى، المؤلف الوهمى لكتاب القاعدة، بعدة أهداف يجب التركيز عليها، وقال: «إنه ينبغى علينا ضرب جميع الأهداف لأنها جائزة لنا شرعاً، إلا أننا يجب أن نركز على الأهداف الاقتصادية، خاصة البترول والسياحة، قد يقول قائل سنُواجَه بحملة

إعلامية توجه لنا كل التهم بداية من العمالة إلى العمل على إفقار وإضعاف البلاد اقتصادياً، وسيذكرنا البعض أنه عندما وجهت الجماعة الإسلامية بمصر هجمات إلى السياحة فشلت وتراجعت، إلا أنها لم تحسن استغلال فكرها، كذلك لم تحسن الرد على الحملات الإعلامية». وقال: «إن الأنظمة المنهكة فى حماية باقى الأهداف الأخرى سندفعها إلى ضخ مزيد من القوات لحماية اقتصادها، فيحدث العجز، ويبدأ التراخى وخلو الأطراف والمناطق المزدحمة والشعبية من القوات العسكرية أو توجد أعداد من الجند بقيادة هشة وضعيفة، وذلك لأنهم سيضعون الأكفاء لحماية الأهداف الاقتصادية، ومن ثم تكون هذه القوات الكثيرة الأعداد أحياناً الهشة بنياناً، سهلة المهاجمة والحصول على ما فى أيديها من سلاح بكميات جيدة، وسيشاهد الجماهير كيف يفر الجند لا يلوون على شىء، ومن هنا يبدأ التوحش والفوضى، وتبدأ هذه المناطق تعانى من عدم الأمان، هذا بالإضافة إلى الإنهاك والاستنزاف.

الطريق إلى الفوضى:

يقول الكتاب الأخطر للقاعدة: إذا كانت مجموعاتنا قريبة من مكان التوحش أو هناك وسيلة للوصول إليه وهناك عيون وأفراد تدين لنا بالولاء فى منطقة الفوضى علينا دراسة الوضع ومدى إمكانية نزولنا لإدارة هذا التوحش، فإذا تجمعت بعض مجموعات النكاية فى كيان واحد ونزلت لتدير منطقة من مناطق التوحش فعليها أن توازن مع مناطق التوحش بجوارها بين التكتل والانتشار بما يُشعر العدو بقدرتنا على الردع ويُشعره بعدم الاطمئنان، الردع الذى يطول القادة والأتباع، فيخوف القادة ويجعل الأتباع تفكر فى التحول للانضمام للمجاهدين لتموت على الشهادة بدلاً من أن تموت مع الكافرين الظالمين، هنا قد يجنح العدو للمسالمة -طبعاً بدون اتفاق- ويقنع العدو نفسه بالخطوط الخلفية لحماية الاقتصاد والمال؛ فهو الغرض الذى حشد قواته له.

لخص «ناجى» الخطة السابقة فى نقاط محددة وهى: «استراتيجية عسكرية تعمل على تشتيت جهود وقوات العدو، واستنزاف قدراته المالية والعسكرية، واستراتيجية إعلامية تستهدف وتركز على فئتين: فئة الشعوب، بحيث تدفع أكبر عدد منهم للانضمام للجهاد والقيام بالدعم الإيجابى والتعاطف السلبى ممن لا يلتحق بالصف، والفئة الثانية جنود العدو أصحاب الرواتب الدنيا لدفعهم إلى الانضمام لصفنا أو على الأقل الفرار من خدمة العدو».

أضاف: «بعد فترة مناسبة نعمل على: تطوير الاستراتيجية العسكرية بما يدفع قوات العدو إلى التقوقع حول الأهداف الاقتصادية لتأمينها، وتطوير الاستراتيجية الإعلامية بحيث تصل وتستهدف بعمق القيادة الوسطى من جيوش الردة لدفعهم للانضمام للجهاد، وفى كل هذه المراحل نبرر عقلياً وشرعياً

لماذا تكون عملياتنا، على أن يكون فى هذه الخطة من الشفافية بل والاعتراف بالخطأ أحياناً ما يكشف أكاذيب وحيل العدو ويرسخ انطباع الصدق عنا عند الشعوب، وهى الرقم الصعب لنا، وهذا ليس معناه أننا نعوّل عليها حركتنا، فنحن نعلم أنه لا يُعوَّل عليها فى الجملة بسبب ما أحدث الطواغيت فى بنيتها، وأنه لا صلاح للعامة إلا بعد الفتح.

أكد أن أهم أهداف هذه الخطة الإعلامية تجنيد البعض من جموع الشعوب والإتيان بهم إلى المناطق التى يديرها التنظيم، خاصة الشباب عندما تصل إليهم أخبار القاعدة بكل شفافية.

قال إن إمكانية ضم هذا العدد من أمة المليار أسهل من ضمهم شباب الحركة الإسلامية الملوث بشبهات مشايخ السوء من السلفيين وأشباههم، فشباب الأمة على ما فيهم من معاصٍ أقرب للفطرة، وخبرات العقود السابقة أثبتت لنا ذلك، أما الأحداث الأخيرة فقد وضح للجميع أن العامى بفطرته تفاعل معها أفضل بمراحل من قاعدة الجماعات الإسلامية الذين سلموا دينهم لأحبار ورهبان السوء.

قواعد تحقيق الأهداف:

وضع كتاب تنظيم القاعدة قواعد وسياسات لتحقيق أهداف القاعدة وأعوانها أهمها إتقان فن الإدارة، وهى تعلم كيفية إنشاء اللجان والتخصصات وتوزيع الأعمال، بحيث لا تتجمع الأعمال كلها على كاهل شخص واحد من التنظيم أو كاهل قلة من الأفراد، مع تدريب جميع الأفراد ونقل الخبرات حتى إذا غاب أمير للجماعة قام آخر، وقال: «يجب أن نستطيع أن ننقل الكفاءات عند الحاجة من مكان إلى مكان آخر، بدون أن يعرف الأفراد أسرار الفروع التى لا يعملون فيها، وإنما قصدت أن يتم التدريب ونقل الخبرات كالمهارات والتقنيات لا أكثر، مثل القواعد الصحيحة التى يجب أن ندرب الأفراد عليها ونتبناها هى أن «مجهول الحال بدار الكفر يجوز قتله قصداً للمصلحة»، وهى قاعدة صحيحة، المقصود بها هنا هو من لم يظهر منه ما يدل على إسلام أو كفر، وهو ليس عليه علامات الإسلام الظاهرة، ولكن تطبق على دار الكفر التى أكثر أهلها من الكفار، أما دار الكفر التى أكثر أهلها من المسلمين فلا تُطبق عليهم تلك القاعدة، وهناك كثير من التطبيق العملى لكثير من القواعد الجهادية التى تحفل كتب فقه الجهاد بها ويجب أن تطبقها القيادات الميدانية، ونعم قد لا يجب أن يرجعوا كل مرة للراسخين فى العلم، خاصة إذا تعذر ذلك، ولكن أصل الفئة المستهدفة أو نوع العمل القائم يجب أن يمر قبل اعتماده وتكراره على الراسخين فى العلم فى المرة الأولى على الأقل».

يضيف: القاعدة الثانية التى يجب أن نعتمدها «أن الجيوش النظامية إذا تمركزت فقدت السيطرة، وعلى العكس إذا انتشرت فقدت الفعالية». وقال إن المقصود أننا عندما نستهدف موقعاً أو هدفاً من المستحيل أن يضع العدو قوات

ضخمة فى هذا الموضع، وإلا عند أول طلقة نار سيفقد السيطرة وتضرب قواته بعضها البعض، لذلك سيضع العدو قوات تتناسب مع طبيعة وحجم الموقع، وهنا علينا أن نعرف ما هى طبيعة وأنواع المواقع التى حجم قواته فيها حتى يمكننا إعداد قوة لمهاجمتها لأن العدو يستحيل عليه زيادة قواته فيها، ويُستفاد من القاعدة أهمية تعلم فن اختيار موقع الاشتباك مع العدو فى أى ظرف أو لحظة يُفرض علينا فيها، والأهم أنه كلما انتشرت قوات العدو على أكبر رقعة من الأرض فقدت فعاليتها وسهلت مواجهتها.

دعا إلى أن يكون معدل العمليات تصاعدياً ليبث رسالة عملية حية للناس والشعوب وصغار جند الدول المستهدفة أن قوة الجهاديين فى تصاعد، وما ينطبع فى أذهانهم من تصاعد العمليات، فمن حيث العدد أو النوعية فإنهم فى تقدم مستمر وأن مصير عدوهم الهزيمة، مما يُجرئ الشعوب ويُحيى الأمل فى نفوسهم ويسهل مدداً دائماً للحركة وتصاعداً ذاتياً لها، وقال: «لذلك ينبغى أن نخطط عملياتنا بأن نبدأ بعمليات صغيرة ثم الأكبر وهكذا، حتى لو كان فى إمكاننا القيام بالكبيرة من البداية، كما رتبت منظمة القاعدة عمليات إشعال المواجهة، هذا فضلاً عن فوائد أخرى كثيرة من تصاعدية الأعمال منها الارتقاء بالشباب وتعويدهم على المواجهة وغير ذلك». وقال: «لابد أن تكون العمليات فى صورة أمواج فذلك يناسب المجموعات التى قواعدها العسكرية ومواقعها الدفاعية حصينة إلا أنها بعيدة عن موقع العمليات، وكذلك المجموعات التى تريد أن توصل رسالة للعدو أن أمواج الرعب ودفع ثمن أفعاله لن تنتهى، وليس معنى توقف العمليات فترة هى استقراره ليفعل ما يريد بالشعوب المسلمة وإنما كل ما فى الأمر أننا نُعد لموجة أخرى من العمليات التى ستملأ قلوبهم رعباً، وأن هذا الرعب ليس له نهاية. وأكد أن طريقة الأمواج هذه تناسب أكثر مجموعة البلدان التى تم تحديدها للبدء بها لإثارة الفوضى والتوحش».

وجه أبوبكر ناجى رسالة لأتباعه قائلاً: «اضرب بقوتك الضاربة وأقصى

قوة لديك فى أكثر نقاط العدو ضعفاً»، أما تطبيق هذه القاعدة على التخطيط لعمليات صغيرة على سبيل المثال «إذا كانت مجموعة منفذة من ١٠ أفراد تواجه عملية سهلة جداً -وليست استشهادية بالطبع- ولا تحتاج إلا لفرد أو ٢ بل إنها أحياناً تُرسل مجاهداً واحداً أو ٢ لعملية أكبر ولكن إذا أرسلت كامل عددها إلى هذه العملية المضمونة -بإذن الله- بغرض الاستعراض وإرهاب العدو عندها يتحدث الناس والصحف عما حدث، ويظن الناس والعدو أن العمليات المقبلة سيتم لها حشد وتفوق عددى مناسب مما يعلى من أسهم الجهاديين إعلامياً، ويرجف القلوب من مواجهتهم، إلا أن هذا لا يُطبق إلا بعد دراسة جيدة للاحتمالات ومصالح ذلك ومفاسده، والاقتصار على العدد المحدود الذى يكفى فى الجملة».

وضعت «إدارة التوحش» لهذه القاعدة مجالات أخرى فى ظروف ومتطلبات أخرى تشبه، إلى حد كبير، ما حدث فى مديرية أمن الدقهلية، منها: إذا كان هناك هدف سهل الوصول إليه، مثل مبنى للعدو يعقد فيه اجتماعات -مثلاً- ونحو ذلك وهدمه يتم بشرك مفخخ صغير الحجم، إلا أن لدينا مخزوناً جيداً من المتفجرات قد يتم التخلص منها أثناء تحركنا بدون استخدام، فيمكن فى هذه الحالة استخدام كمية من المتفجرات لا لتهدم المبنى فقط أو حتى تسويه بالأرض ولكن لتجعل الأرض تبتلعه ابتلاعاً، وفى ذلك تتضاعف كمية الرعب لدى العدو، وتتحقق أيضاً أهداف إعلامية جيدة من أبرزها عدم استطاعة العدو إخفاء خسائره، ومثل ذلك تكرر كثيراً وتحققت من ورائه نتائج جيدة عديدة». وقال: «إن أقرب وسيلة لهزيمة العدو الأقوى عسكرياً هى استنزافه عسكرياً واقتصادياً».

فى باب «الأنظمة تحت النار» تساءل كتاب القاعدة الذى وضع استراتيجية العمليات المسلحة فى المنطقة: «إننا والأنظمة تحت النار فكيف ننتصر؟»، وأجاب أن ذلك سيكون باعتمادنا الشدة وتركنا الرخاوة، لأن الأمة ذات البأس

هى التى تستطيع أن تحافظ على ما تكتسبه من مواقع، وهى التى تخوض الأهوال وهى ثابتة ثبات الجبال. وستعتمد التنظيمات التكفيرية وفق «إدارة التوحش» على: ١- سياسة دفع الثمن، والتى تعنى جعل الأنظمة تدفع الثمن إن فكرت فى أى عمل إجهاضى لهم.

قال: إن فكر العدو فى الرد سيدفع ثمن إجرامه كاملا حتى يرتدع عن العودة لمثله، ويفكر ألف مرة قبل القيام بعمل هجومى تجاهنا، بحيث يتوقف عن المبادرة بالإجرام وتكون أفعاله مقتصرة على الدفاع عن نفسه، لكننا سنواجه مشكلة غارات العدو - الصليبى أو المرتد - الجوية على معسكرات تدريب أو مناطق سكنية فى نطاق المناطق التى نديرها، ومع وضع تحصينات دفاعية وخنادق لمواجهة تلك المشكلة إلا أنه ينبغى كذلك أن نتبع سياسة دفع الثمن فى مواجهة إجرام العدو، وسياسة دفع الثمن فى هذه الحالة تحقق ردعاً للعدو وتجعله يفكر ١٠٠٠ مرة قبل مهاجمة مناطقنا.

٢- تحقيق الشوكة، وهى إشعار العدو أنه محاصر ومصالحه مكشوفة، وأنه إذا كسر جزءاً من مجموعة مسلحة لن يستسلم الباقون، وسيبقى الثأر لدمائهم قائماً من الباقين، وستبقى أهداف المجموعة قائمة حتى يفنوا عن آخرهم.

قال: «إن الشوكة الكبرى التى يعمل لها العدو ألف حساب هى محصلة شوكات المجموعات سواء مجموعات النكاية أو مجموعات الإدارة فى مناطق التوحش، ففى وجود موالاة إيمانية بينها تتمثل فى عقد مكتوب بالدماء أهم بنوده «الدم الدم والهدم الهدم».

٣- فهم قواعد اللعبة السياسية للمخالفين، وعدم ترك القرار السياسى بأيدى من لا يخوض المعارك العسكرية تحت أى حجة، وتحديد ردود الفعل تجاه أى خطوة.

٤- فهم السياسة الإعلامية للخصوم والتعامل معها، وكسب المعركة

الإعلامية مع الأنظمة مقدمة لكسب المعركة العسكرية والسياسية، ومن أهم ما يساعد على ذلك هو أن تصل مواد التنظيم الإعلامية إلى مُستهدَفيها.

٥- استقطاب المجندين إلى التنظيمات، حيث وضع تنظيم القاعدة أسساً لاستقطاب الأتباع الجدد إليه أولها هى المعركة الملتهبة مع الأنظمة التى تعرف بهم، عن طريق الإعلام الجهادى، ومن رفع الحالة الإيمانية للشعوب، والمخاطبة المباشرة لهم، أو عن طريق العفو عن بعض المذنبين منهم، أو تأليفهم بالمال.

قال: «لا شك أنه كلما زاد وهج ولهيب المعركة واشتدت وطأتها على الناس، يحرك ذلك القلوب والعقول وتبلغ الحجة على الناس أقصى مدى لها، ومن ثم يبلغ الاستقطاب مداه، إلا أنه فى مقابل هذه الشدة من لهيب معركة حامية الوطيس نجد أن كل مرحلة من مراحل معركتنا تحتاج إلى أساليب من اللين، والعفو والاستقطاب بالمال.

٦- إتقان الجانب الأمنى وبث العيون واختراق الخصوم مثل قوات الشرطة والجيوش والأحزاب السياسية المختلفة والصحف والجماعات الإسلامية وشركات البترول -كعامل أو مهندس- وشركات الحراسات الخاصة والمؤسسات المدنية الحساسة. وقال: «بدأ ذلك بالفعل منذ عقود لكننا نحتاج المزيد فى ظل التطورات الأخيرة، من تدريب رجالنا وتوجيه بعضهم -تبعاً لنظرة وفراسة قادة المجموعات فى سمات وقدرات هؤلاء- للعمل فى الجهاز الأمنى لاختراق تلك المؤسسات بعد تبيين أهمية ذلك، وأن هذا الدور بمثابة عملية استشهادية، بل قد ينتهى فعلاً إلى ذلك بعملية استشهادية لتدمير الموقع، أو القيام بعملية تجاه بعض الشخصيات فيه، مع وضع برنامج تربوى وعلمى فردى يحفظ على العضو تدينه دون أن يتم كشفه، بل لا بد من اختراق الجماعات الإسلامية الأخرى بل والترقى فى سلمها القيادى من خلال أفراد موثوق فى تمكنهم من مدافعة الشبهات العلمية والشهوات، ينتج عن ذلك فوائد كثيرة مختلفة، وهناك حالات سابقة ناجحة، أما من يثبت عليه التجسس

علينا بالبينة فيجب معاملته بما يكون رادعاً لأمثاله، وإذا كان فاراً فيجب تعقبه وعدم تركه حتى ولو بعد سنوات، ويجب إعلان أنه سينال عقابه ولو بعد سنين طويلة، مما سيجعل ضعاف النفوس يترددون فى فعل ذلك كثيراً، كذلك ينبغى إصدار بيان كل فترة وأخرى - خاصة بعد الكشف عن جاسوس ومعاقبته- بفتح مجال التوبة لمن يتقدم مختاراً بالاعتراف بأنه تحت ضغط معين أو زلة معينة تعامل مع العدو، مع ترويج أن ذلك حدث ليصل ذلك الخبر للعدو بصورة أو بأخرى -حتى وإن لم يحدث حقيقة - مما سيربك العدو وجواسيسه لشكّه فيهم».

أضاف: «كما يجدر التنبيه إلى أن اتباع الشدة والغلظة وعدم الرحمة مع من يثبت – بيقين - القيام بهذا العمل فى حقه قد يستنكره من لم يمارس الجهاد عملياً تحت دعوى التركيز على أئمة الكفر وعدم إهدار الجهود على أغمار العدو من صغار الجند والمخبرين والمرشدين، إلا أن استهداف المخبرين والمرشدين لا يدخل تحت هذا الباب، وذلك لأن كبار القادة والضباط لمباحث العدو وجنده لا يستطيعون التحرك بدون هؤلاء، سواءً فى بحث المهمة أو تنفيذها، فهم لا يستطيعون التحقيق فى قضية أو نزول منطقة لتنفيذ عملية مداهمة أو اعتقال أو هجوم على موقع بدون هؤلاء المخبرين والمرشدين، والعمل على إفناء هؤلاء يشل حركة ضباط العدو تماماً، بل والعمل على إفنائهم بمنتهى الغلظة والبشاعة يردع من يحاول أن يفكر فى القيام بمثل ذلك، مع أهمية التغطية الإعلامية لنشر الأمر وتبريره للناس.

انتقد الكتاب هزيمة الجماعة الإسلامية فى التسعينات، وقال لم يكن لقيادتها تصور جيد وواضح للاستراتيجية العسكرية، بعد أن عطلت ٤ أخماس قواتها تحت ما يسمى بالجناح الدعوى بل وجعلته مكشوفاً مما مكن النظام المصرى منها.

الكتاب أجاب عن السؤال: «ماذا على السلفية الجهادية أن تفعل للتعجيل

بنفاد صبر العدو وإبطال هدفه واستراتيجياته؟»، وأجاب: «نحن لو كان عندنا القوة التى عند العدو لكان عندنا القدرة على حسم المعركة من البداية؛ لأن جنودنا لا تخشى الدم والموت بل تطلبه، ولكننا ليس عندنا هذه القوة -وذلك من سنن الله فى الدعوات، لذلك ستكون خطتنا بالنظر لكل المعطيات السابقة هى العمل على إطالة فترة المعركة عن طريق مقاومة أهداف العدو، والمبادرة بتوجيه ضربات قوية وموجعة له، على أن يكون تركيزنا فى البداية - بحكم إمكانياتنا - على رد الفعل المتمثل فى مقاومة أهدافه أكثر من المبادرة بتوجيه ضربات له، ثم بعد فترة إذا نجحنا لن تكون أعمالنا إلا المبادرة بضربه لأنه بحكم التجارب المرصودة ستكون أيامه فى المرحلة الثانية هى عبارة عن مقاومة غاراتنا إلى أن نصل إلى مرحلة إسقاطه بإذن الله».

أكد أن إبطال استراتيجية الأنظمة وجيوشها عن طريق الحشد، وجعل عملياتهم منتشرة على أكبر رقعة من الأرض، على الرغم من محدوديتها فى البداية. كما أن على التنظيمات أن تمنع الحكومات من تحقيق هدفها بجمع أكبر عدد من أتباعها فى السجون حتى لا تضع الأنظمة فى يدها أكبر أوراق للضغط عن طريق: تلافى التسيب الأمنى قدر الإمكان، وتنفيذ التعليمات الأمنية بدقة، كتحطيم أى «سى دي» أو تقطيع الأوراق إذا تعرض عضو لكمين. والأهم هو جعل مداهمات الأمن لاعتقال الأتباع تتحول إلى جحيم ويسقط فيها أكبر عدد من القوات، وذات تكلفة عالية فى الدم، والإنفاق، واتخاذ وقت طويل فى الإعداد لها، بل إذا تم اعتقال أو قتل أفراد فى مداهمة تتم المبادرة بتوجيه ضربة ردع، ودفع ثمن يتم الإعلان إعلامياً عنه.

هكذا وبناءً على ما ورد فى كتاب القاعدة فإنها لم تعد تنتظر حدوث هذا التوحش من تلقاء نفسها، وإنما أصبحت تسعى جاهدة إلى خلقه، ونراه جلياً اليوم فى بعض من أنحاء ليبيا، فى العراق، فى اليمن، فى الصومال وفى سوريا ويريدون خلقه فى شبه جزيرة سيناء، فى تونس وفى الجزائر أيضاً. وبين هذا

وذاك نبقى بين ربيع عربى متعثر، وبين جماعات تبشر بواقع أكثر تطرفاً وإرهاباً، بدأ وفق القاعدة بضرب أمريكا فى عقر دارها، ثم استدراجها لبلاد المسلمين، بعدها بناء قاعدة صلبة فى العراق، ورابعاً إسقاط الأنظمة العربية وإعلان دولة الخلافة.

بين إكمال المرحلة الرابعة، والتحضير للمرحلة الخامسة يتوقع قادة القاعدة ومنظرو السلفية الجهادية أن يدخل العالم العربى فى فوضى متوحشة، وإن من مهام القاعدة فى ذلك الوقت هو إدارة هذا التوحش عبر ثلاث مراحل؛ وهى مرحلة شوكة النكاية والإنهاك، ثم مرحلة إدارة التوحش، وبعدها مرحلة التمكين.

obeikan.com

الدمج بين العنقودى والمنفرد

الأهم فى العقل الاستراتيجى للجماعات الإسلاموية المسلحة، هو الدمج بين المحلى العنقودي، والمحلى المنفرد، وما أعقب ذلك من الاستراتيجيات.

الإسلام الجهادي، بدأ بمقاتلة الأنظمة باعتبارها مرتدة، ثم انتقل إلى ما يسمى الجهاد التضامنى على يد عبدالله عزام، وبعدها انتقل إلى مقاتلة العدو البعيد، رداً على العولمة، على يد بن لادن، ثم عاد مرة أخرى إلى قتال العدو المحلى القريب على يد داعش، بسبب التصدع الهوياتى بالعراق، وما جرى بسوريا من مذابح.

انتقل داعش من جهاد النكاية إلى التمكين وإمساك الأرض، وأعلن بوضوح (٩ رصاصات للمرتدين وواحدة للكافرين)، ونجح فى خلق مشكلة للجوار مثل كوبانى.

أصبح للتنظيم عدة محاور من الأنظمة العسكرية، الأولى فى أماكن سيطرته، والثانية فيما يطلق عليها الولايات مثل ليبيا، أو بوكو حرام، والثالثة من خلال الشبكات والخلايا مثل بروكسل وخلية باريس، والأخيرة هى الذئاب المنفردة، أى التابعة للفكر وليس للتنظيم.

دمج التنظيم بين مقاتليه، وكانت له سياسة واضحة، هى إمساك الأرض، عن طريق مزيج من قتال الجيوش النظامية، وحرب العصابات، وما ابتدعه وهو تطهير المكان (أى مذابح للمخالفين)، ثم التهجير، لكى يخلق مشكلة للجوار، وإذا انسحب يدمر المكان تمامًا كما جرى بكوبانى والفلوجة، عن طريق ٥٠ ألف مقاتل، بينهم ١٥ ألفاً أطلق عليهم (قوات النخبة).

لاحظوا أن التنظيم قبل حادث نيس بفرنسا بأيام أصدر فيديو كشف فيه عن هيكل دولته، وعن بنائه لمجتمع أيديولوجى تتحقق فيه مُثُل الإسلام المتصورة، وأن السيطرة على الدولة هى الطريق الرئيس لتحقيق هذه الغاية.

حدث اندماج لدى داعش بين الأبعاد الإقليمية والعالمية، وبين المحلى العنقودي، والمحلى المنفرد، وذلك للرد على تراجعه، وقتل قياداته، كأبى عمر الشيشانى.

أى شخص يشير إلى انتهاء توجهات معينة، ومنها نهاية مرحلة الإسلام المقاتل، وبداية مرحلة جديدة يتجه فيها الإسلامويون إلى تبنى الانتخابات بديلاً عن الرصاص، هو مخطئ.

الإسلام المقاتل فى مرحلة صعود وليس هبوطا، وجاءت تحولات النهضة، والتحولات التى تتحدث عن فصل الدينى عن السياسى لتصب فى مصلحة داعش والقاعدة، لأنهم يتحولون دون إيجاد بديل دينى شامل يحتوى الشباب، الذى لن يجد إلا إسلام داعش.

فى عصر الصحوات، وبريمر، وقوات الجيش العراقي، وأخرى خاصة من البيشمركة، وقصف جوى متواصل، وحصار خانق، لا يزال التنظيم يوجه ضرباته، لأنه يتنفس من السلطوية، والتهميش، والنفس الطائفي، وفشل الربيع العربي، وفقدان الأمل، وعدم وجود تحولات ديمقراطية حقيقية.

لما سبق فإن الضربات ستستمر، فى أوربا، أو فى القوقاز، أو فى مصر، أو غيرها من خلال العنف الداعشي، إلا إذا فهمنا التنظيم، وقمنا بتعزيز الدولة الوطنية، وتبنينا الديمقراطية، ونسقنا فى المنطقة أمنياً، وعادت مؤسساتنا الدينية لمكانتها الروحية.

مناكفة الأنظمة

أكدت داعش والقاعدة على تنظير جهادى أطلقت عليه (مناكفة الأنظمة)، قالت (إننا قادمون يا بغداد)، هذا ما يعنى أن هناك خطة من التنظيم، للانتقال من جهاد البقاء والتمكين، وقتال العدو القريب، إلى قتال العدو البعيد، عبر استراتيجيات الاستنزاف، التى أطلق عليها فى بيانه بأحد المواقع المقربة منه (المنازلة).

الحقيقة أن هذا التنظير ليس جديداً، بل هو تنظير استخدمته القاعدة، وهو ما أطلقت عليه: (المناكفة الجهادية للأنظمة العربية)، وبرز هذا التنظير خلال السبعينات والثمانينات، حتى بدأت الحرب الأفغانية السوفيتية، وبرز ما يسمى (الجهاد التضامني)، وأطلق قادة الحركة على المنابر «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم».

عقب فترة أفغانستان برز (الجهاد النكائي)، أو ما أطلق عليه بن لادن (قاعدة الجهاد)، وأطلقت عليه الجماعة الإسلامية، وتنظيم الجهاد (دفع الصائل).

بروز العولمة، ثم الاحتلال الأمريكى للعراق، أسهم فى ظهور ما يسمى بـ(الجهاد التضامني)، وظهور الشبكات الجهادية، الذى بدأ بربط التنظيمات المحلية، بتنظيمات مماثلة إقليمية، دمجت كل الأبعاد من قتال العدو القريب إلى البعيد.

لأول مرة فى هذه الفترة ظهرت تنظيمات تريد حرب العالم أجمع فى وقت واحد، ففى الوقت الذى أصرت فيه قيادة القاعدة على أولوية قتال العدو

البعيد، والمضى قدما فى مناكفة «الصليبيين» عبر تكتيكات حروب النكاية، ونهج الاستنزاف والمطاولة، كان تنظيم الدولة الإسلامية يشدد على دمج الأبعاد الجهادية، وأولوية قتال العدو القريب عبر استراتيجيات التمكين.

كان على تلك التنظيمات فى هذه الفترة التى تريد التمكين أن تقوم بتقويض الأنظمة، وأن تطرح بدائل مناسبة لها، وهذا هو ما نجحت فيه داعش وحدها، التى دمجت بين الفقه السلطانى الوهابى القديم، مع شكل الدولة الحديثة، وأنتجت نموذجاً هجيناً وغريباً، وهو نموذج الخلافة، فيما ظل تنظيم القاعدة يستهدف تقويض الدول الغربية من دون طرح بدائل محددة.

شكّل نموذج داعش، نقطة جاذبة، جمعت آلاف المسلحين والمقاتلين، على سبيل المثال، حين سئل مقاتل أجنبى فى الرقة: «لماذا لا ينخرط فى الجهاد فى موطنه؟ أجاب: «لأن الدولة الإسلامية الحقيقية موجودة هنا».

عقب الحرب الكونية على داعش، ظل التنظيم يبذل الجهد لكسب الوقت، من أجل حفاظه على مكتسباته، وتربية جيل جديد من الأنصار، تمكنه من الحفاظ على دولته المزعومة، فهيمن على مدارس الرقة والموصل، واستغل الطائفية جيداً، وهاجس البقاء، وحجة الدفاع عن السنة، والهجوم على المرتدين، وعلى الطوائف الأخرى مثل الأيزيديين، والمسيحيين.

سار داعش باستراتيجية واضحة، استغل فيها الإعلام والدعاية ومواقع التواصل، وإن كان خطابه وحشياً أحياناً، ومغرياً بالمال فى أحيان أخرى.

فى بعض المناطق، نجح داعش فى التوسع، من خلال التحالف مع القبائل والسكان المحليين، كما حصل على بيعات أفرع من تنظيم القاعدة، مثل فرع التنظيم بسيناء.

الآن، وعقب تناقص حدود داعش، وتقلص التنظيم، وانحساره، بحث

التنظيم عن حل جديد للتحديات، كان منها هذا الطرح الجديد، وهو مناكفة الأنظمة، عن طريق ضرب اقتصادها، وأمنها، وجيوشها.

إذا أردت أن تعرف، ما هى تلك الأنظمة التى سيواجهها التنظيم، ستدرك بسرعة، أن مصر هى إحدى تلك الدول، خاصة إذا راجعت رسالة أبى الودود الهرماسى، القيادى بالتنظيم، الذى اعتبر أن الدولة المصرية هى الهدف الأسمى، وهى المكان الأمثل، المرشح وبقوة لضربات التنظيم، نظرًا لتأثيره بالكامل على المحيط.

رسالة التنظيم، التى تحدثت عن بغداد، وذكرى سقوطها، تشير وبقوة، إلى عمليات مقبلة داخل أسوار العاصمة العراقية، فى وقت كان يقترب الجيش العراقى من تحرير كامل لمدينة هيت.

استراتيجية مناكفة الأنظمة تعنى بوضوح عمليات إرهابية مسلحة داخل الأنظمة العربية، قد تحدث فى فترات متقاربة، أكثر بكثير، من المرحلة الماضية.

obeikan.com

التواجد فى مناطق التوتر

من أهم التنظيرات الجهادية للتنظيمات الإسلاموية المسلحة أيضًا (التواجد فى مناطق التوتر) فأحد كبار منظرى القاعدة، أبو مصعب السورى، يورد عبارة تعبر عن تلك الحالة، حيث قال: ''إن الضعفاء لا يستطيعون وضع الاستراتيجيات، وذلك لعدم إمكانيتهم فرض الظروف، أو على الأقل المحافظة على ثباتها، لذلك قد تتغير الاستراتيجيات نتيجة الانقلاب فى الظروف العامة. ومن الأجدى أن تكون استراتيجية المقاومة مجموعة خطوط استراتيجية عريضة تعطيها مرونة الحركة وتبديل التكتيكات بحسب الوقائع الناشئة، وهذه لا يمكن أن تكون إلا فى بيئات فاشلة .

يرى الجهاديون المسلحون، أنه لا يمكن الإتيان باستراتيجية إذا كانت الظروف كلها تصب فى غير مصلحة التيار الجهادى عموما والقاعدة خصوصا؟ وأماكن التوتر قد تعطى فرصة غير مسبوقة لهذا التيار، بمعنى أن تحرك التنظيم مرتبط بشكل أو بآخر بالواقع الذى يمكن أن يتحكم فيه التنظيم، وبالوضع على الأرض أو ما تسميه القاعدة بـ''فقه الواقع''، لأنه لا يستطيع العيش والعمل والتخطيط إلا فى بيئة مضطربة ومنقسمة على نفسها أو مرشحة للانقسام أو ذات حكم بوليسي، أو مناطق فوضى أو معازل اجتماعية وسياسية، أو ضمن تجمعات مذهبية أو طائفية، أو ذات نزاعات مسلحة واضطرابات سياسية.

ترى العقلية الاستراتيجية للجماعات الجهادية الجديدة أنها مكلفة من قبل الله بصناعة المقاتل الإسلامى العالمى أمام الصائل الأمريكى الغربى العالمى فى بلاد المسلمين، فهى ترى أن الغالبية الساحقة من الجماعات الإسلامية المسلحة

وغير المسلحة تكتفى بالحديث عن أهداف قطرية من نوع مصر أولا، أو تقبل بالديمقراطية والمنافسة بالانتخابات كسبيل سلمى للوصول إلى السلطة والمشاركة فى الحكم، أو تطرح شعار الحل الإسلامى بديلا عن الحل العلمانى أو الحل الوطني، أو أنها تطالب بإعمال مبدأ الحاكمية فى بلدها، وثمة جماعات أخرى ترفض الدخول فى أى عمل سياسي، بل ويشترط بعضها على أعضائه المبايعة على نبذ العمل السياسى وتحريمه، أما الجماعات الجديدة فهى تعتقد أن أطروحتها للإسلام هى بديل عن الأطروحة القطرية أو القومية، لأنها تعتقد أن المقاتل الأمريكى العالمى الصائل فى بلاد المسلمين لا يمكن مواجهته إلا بمقاتل إسلامى عالمي، وهذا لا يمكن صناعته إلا فى ملاذ آمن، وفى الأغلب تكون هذه الملاذات فى أماكن التوتر، وفى أماكن الجبهات المفتوحة.

إذا فقدت داعش والقاعدة أماكن الجبهات المفتوحة لم يعد لديها من سبيل إلا اعتماد استراتيجية بناء السرايا الصغيرة ذاتية النشأة والتكوين والدفع والمنقطعة عن بعضها، والعمل بصورة منفردة حتى بعيدا عن الأمير المؤسس لها، وهى المحور الأهم فى عقلية الجهاديين الاستراتيجية.

المحور الأهم فى العقلية الاستراتيجية للقاعدة وداعش والتنظيمات الجهادية الجديدة، هو توسيع ساحة المواجهة، وهذه أخطر ما يمكن تصوره، لأنها ستجعل بلدان العالم الإسلامى مجتمعة أو منفردة ساحة مواجهة حقيقية بكل ما يترتب على ذلك من كوارث، كما أنها أسقطت نظرية مصر أولا أو فلسطين أولا أو أفغانستان أولا من فكر التيارات الجهادية، وإحلال فكرة ساحة المواجهة أولا، أو فكرة الحفاظ على التماس مع العدو، هى فكرة كان أساسها من بعض المنظمات الفلسطينية التى كانت تريد توريط الدول العربية فى حرب مع إسرائيل، وفعلتها القاعدة بعد ذلك فى وثيقتها الاستراتيجية لخطتها النظرية التى كانت مدتها ٢٠ عاماً، تبدأ بتوريط أمريكا فى حرب مفتوحة مع الجماعات المسلحة، والمسماة الإفاقة، وتنتهى بإقامة دولة الخلافة.

خلق الفوضى ومساحات شاسعة للتحرك، هى المرحلة الأخطر التى تمر بها الأمة، وفق ما كتبه منظرو القاعدة، وفى هذا الصدد أصدر بن لادن من قبل فتوى بضرب واستهداف المؤسسات النفطية، لخلق فوضى عالمية عارمة والحيلولة دون استفادة الدول من عائداتها، فى ذات الوقت صناعة مساحات شاسعة للتحرك حتى لا يمكن محاصرة التنظيم، ما يعنى أن المواجهة القادمة بين التيار الجهادى السلفى ونموذجه الداعشى أو القاعدى، سيطول دولا وشعوبًا لطالما اعتبرت نفسها بعيدة عن ساحة الصراع المباشر، أو أنها اكتفت بمواقف سياسية أو أيديولوجية أو تقديم دعم مالى.

تؤكد العقلية الاستراتيجية للتنظيمات المسلحة الجديدة، على خلق جماعات بديلة، وتحويل التنظيم الأم إلى تنظيم عابر للقارات ومتغلغل بين الشعوب.

أكد منظرو القاعدة القدامى أن الانتشار الأيديولوجى لن يتحقق نسبيا عبر العمليات المسلحة بقدر ما يتحقق عبر شبكة التنظيمات والجماعات المختلفة والتى تمثل الرصيد الفعلى لأى اختراق محتمل وواسع النطاق، وهذا لا يعنى تحولها إلى جماعات جماهيرية يسهل اختراقها، ويصعب السيطرة عليها تمامًا مثلما حصل مع التنظيمات الفلسطينية، والتى فقدت القدرة على التأهيل العميق للأفراد، بل هى جماعات جهادية نوعية، تخلق أثناء الصدام والصراع.

لعل هذه هى بعض نقاط، من عقلية الجهاديين الجدد الاستراتيجية، التى يمكننا أن تفهمنا بعض ما يجرى من سياسات هذه الجماعات، وهذا الجيل الجديد الذى نشأ بعد ثورات الربيع العربي، لكى يسهل علينا تفسير الحالة التى تحدث فى مصر، أو حولنا فى المنطقة العربية.

الاستدراج الاستراتيجي

من خلال البحث وجدت أن داعش والقاعدة كلاهما بنى فلسفته الخاصة، على ما يطلق عليه الصراع، وهو الخلاف بين أيدولوجيتين لا بقاء لأحدهما فى وجود الآخر، ولا التقاء بينهما، وذلك من خلال مبدأ ''الاستدراج الاستراتيجي''، وهو أن تستدرج عدوك لمواجهة طويلة يظن طوال الوقت، ومن خلال المكاسب التى تتحقق له بأنه سينتصر فى النهاية، لكن الحقيقة أن استمراره معك فى المواجهة هو انتصارك الذى تبحث عنه!

لو رجعنا بالذاكرة للوراء، سنجد أن أسامة بن لادن فى خطابه الثانى، أو الثالث، بعد أحداث سبتمبر، كان قد استخدم مثالا بسيطا، وكانت هذه الاستراتيجية تكمن فى داخله، حينما تحدث عن حديث النبى الكريم عن الملك والغلام، وأن الغلام قد استخدم الاستدراج الاستراتيجى فى جر الملك لمواجهة ظن الملك أنه سينتصر فيها بتخلصه من الغلام فى النهاية، لكن استمرار محاولات الملك لقتل الغلام وتخليه عن زيف مبادئه فى ادعاء الألوهية، واعترافه ضمنيًا بصدق دعوة الغلام الذى قتل فى النهاية، وهذا ما قاد فى النهاية الجمهور المتابع إلى الإيمان بدعوة الغلام، فجاء الخبر كالصاعقة على الملك عندما قيل له: قد آمن الناس.

أرأيتم كيف ينظرون للأحاديث، ويفسرونها تفسيرًا مختلفًا يدور حول أن الصدام سيحصل شئنا أم أبينا بين طرفين، وأن الحق هو المنتصر على الباطل، الذى هو كل أعدائهم.

خطة الاستدراج الاستراتيجى، كان أول من تكلم عنها هو (عبدالله محمد)،

وهو الآن المنظر الأكبر للتنظيمات المسلحة استراتيجيًا، بعد أن غيبت السجون أبو مصعب السوري، فيقول فى دراسته المتداولة على المواقع الجهادية: «عندما نتحدث عن الجهاد فإننا نتحدث عن الحرب، والحرب تحتاج إلى خطة، والخطة نفسها تحتاج إلى مراحل ومتطلبات تبعًا لنوع الحرب وطبيعتها، وكل ذلك من أجل تحقيق هدف معين، وهذا الهدف إما يكون تكتيكياً أو استراتيجياً، وهذا يختلف باختلاف الموقع والمعطيات، فهناك مسارح حرب يكون الهدف منها إضعاف العدو، وأخرى يكون الهدف منها هزيمته، والأولى مكملة للثانية».

عبد الله محمد، تحدث عن اندلاع الفوضى العارمة فى المنطقة على نحوٍ غير مسبوق؛ متسائلاً: ما هو الدور الذى يمكن أن يلعبه التيار الجهادى فى هذه المرحلة الخطيرة من عمر الأمة؟ وما هو المشروع الذى يمكن أن يدخل فيه هذه المرحلة؟ وما هى فرص نجاحه؟ ثم يجيب قائلاً: «فى البداية أقول إنَّ فى ظل هذه الفوضى المرتقبة لن يكتب للمشاريع الجزئية أى فرصة للحياة فى الأوضاع الجديدة».

من خلال حديثه نفهم أن استراتيجية الاستدراج بعد نجاحها سيتبعها على الفور التحرك العسكري، الذى ينقسم لثلاث مراحل: البناء، والقتال، والتمكين.

يؤكّد عبدالله محمد على مسألة الحشد الفكرى والعاطفى التى يقول إنَّها يجب أنْ تسبق الخطوات التنفيذيَّة للمشروع. وهنا يلتفتُ إلى أهميَّة الدور الذى يمكن أنْ يضطلع به الإعلام فى هذا المجال؛ فيقول: «والجيد لنا فى المرحلة القادمة أننا سنتمتع بمساحة من الحرية الإعلامية التى خلفتها الثورات العربية، فيمكن ومنذ الآن اعتماد استراتيجية بعيدة المدى تتضمن أدوات إعلامية متنوعة كالإصدارات المرئية والكتب والدراسات والمؤتمرات الصحفية والندوات الفكرية التى يمكن من خلال تكثيفها على مدى ٣ أو ٥ سنوات أن نخلق حالة من القبول الفكري، أو على أقل تقدير أن نجعل مشروع الخلافة الإسلامية

قضية مطروقة عند رجل الشارع العادى إذا ما أراد مناقشة الحلول للأوضاع من حوله.

مصطلح «الفوضى العارمة»، لدى «عبد الله بن محمَّد»، هو يعادل مصطلح «الفوضى الخلّاقة»، لدى كونداليزا رايس، ومصطلح «مرحلة التوحّش»، لدى أبى بكر ناجي، وهم جميعاً يبحثون فى كيفيَّة استغلال هذه الحالة الاستثنائية لتحقيق أغراضهم السياسية.

يتوافق عبدالله مع نظرية صراع الحضارات لهنتنجتون؛ ويقول: ''بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ أدرك العالم أنه أمام بداية جديدة لنوع جديد من أنواع الصراع العالمى كان قد تنبأ به (هنتنجتون) فى نظرية (صراع الحضارات)، وملخص نظريته أن العالم لا يتسع لحضارتين أو ثلاثة، وأنه يجب أن تسود حضارة واحدة وتفرض نظامها السياسى والاجتماعى والاقتصادى حتى يسود السلام العالم كله، ونحن كمسلمين نوافقه فى ما ذهب إليه ونرى أن العالم فعلاً لا يتسع لحضارتين فى آن واحد، ولذا فنحن نقاتل حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله، وعندنا بشارة فى أن ديننا سيدخل كل بيت وبر أو مدر بعز عزيز أو ذل ذليل».

الخداع الاستراتيجى والاستدراج، هو ديدن تلك التنظيمات المسلحة، فاعملوا حساب هدوئهم، وكونوا دائماً مستعدين للمواجهة، لأن الاستراتيجيات العسكرية لا تنفصل عندهم عن الاستراتيجيات السياسية، التى يوجهونها كلها لكوادرهم الخاصة، لكننا فى حاجة دائمًا لمناقشتها والاطلاع عليها، لكى نتسلح بالأمور اللازمة لمواجهتها.

نظرية الذراعين

أصدر عبدالله محمد[٤٢] كتيباً، اسمه (المذكرة الاستراتيجية) تحدث فيها عن نظرية الذراعين، وكانت كاشفة عن حالة التنظيمات، على الأقل خلال العشرة أعوام المقبلة.

قصد عبدالله محمد من مذكرته الاستراتيجية، التى أصدرتها مؤسسة المأسدة الإعلامية.. صوت شبكة شموخ الإسلام، البحث عن أفضل وأكمل الاستراتيجيات للدخول فى مرحلة إقامة إمارة للقاعدة، واستثمار الظروف الطارئة الحالية.

أختار من مذكرة عبدالله محمد ما أطلق عليه (نظرية الذراعين)، والمقصود الخطط اللازمة لإقامة إمارة باليمن والشام.

يقول عبدالله محمد، فى مذكرته الهامة جدًا،: ''إننى تلقيت عدة رسائل فى الآونة الأخيرة يسأل أصحابها عن أهم الجبهات التى يمكن العمل من خلالها فى ظل الأوضاع الجديدة، وأحب أن أطمئنهم إلى أن ما جرى بعد الثورات العربية لم يقلص التيار الجهادى، بل ثبته وأعطاه قفزة ماراثونية لم تكن لتخطر على قلب بشر، والثورات العربية فى محصلتها النهائية ما هى إلا كيوم ''بعاث'' الذى قتلت فيه صناديد الأوس والخزرج واضطربت فيه موازين القوى فى المدينة، ليفتح الله بعد ذلك أمام أى قوة فتية تصلح للقيادة وتستطيع ملء الفراغ».

٤٢- للقاعدة مفكران استراتيجيان، أولهما سورى وهو أبو مصعب، مسجون حالياً، وثانيهما سعودي، وهو عبدالله محمد، ولانستطيع فهم الحالة الحالية لتنظيم القاعدة دون أن نقرأ لكلا الاثنين،خاصة الثانى، نظراً لفعاليته الحالية، ووجوده بسوريا فى قلب الحدث.

تحدث مفكر القاعدة عن المبادئ والشروط اللازمة لنجاح الفكرة، وقال: ''بما أننا ناقشنا مسألة المناخ المناسب لولادة مثل هذا المشروع، فلم يعد علينا إلا البدء فى وضع الشروط اللازمة لذلك، وتحديد ملامح الاستراتيجية التى يمكن العمل من خلالها فى هذه المرحلة، وأولها هى مسألة الحشد الفكرى والعاطفى التى يجب أن تسبق الخطوات التنفيذية للمشروع''.

أكد محمد أن الحشد الفكرى مهم، ضاربًا المثل بالأكراد، الذين انتزعوا من العالم الاعتراف بهم، رغم أنهم يعيشون فى عدة دول، لها تاريخ طويل مع قمع الحركات الانفصالية الكردية.

فى المذكرة، حدد عبدالله محمد شروط الموقع المناسب لإقامة الإمارة، ومنها ألا يكون فى منطقة ميتة حيويا و سياسيا كبعض الأقاليم فى السودان والصومال وموريتانيا وصعيد مصر، وغيرها من المناطق التى لا تحظى بعوامل تجعل منها محط اهتمام للشارع الإسلامي، وأن يكون ضمن أو بالقرب من مناطق التأثير الدينى، كما يضم تضاريس تساعد على العمل العسكرى الدفاعى، كالموانع الطبيعية مثل الجبال والغابات والمستنقعات والأحراش وغيرها، من الموانع التى تعيق حركة الجيوش النظامية، أو تحيد بعض الأسلحة المتفوقة كالطيران والمدرعات.

تحدث عبدالله عن اليمن، وأن بها صفات جغرافية تساعد التنظيم، قائلاً: ''أعتقد أن المرحلة القادمة سيكون فيها متسع أكبر للعمليات فى المناطق المفتوحة إلا أنه من الضرورى أن تكون هناك قاعدة محمية بفعل العوامل الطبيعية كى لا تتعرض القوات لإبادة جماعية إن تعرضت لحملات جوية واسعة أو عمليات تطويق، فضلاً عن وجود الأمن الغذائى، أى أن يضم مناطق زراعية، أو وبحيرات طبيعية، تشكل له قاعدة للاكتفاء الذاتى فى الماء والغذاء، وأهمية ذلك تكمن فى أن المناطق ذات الاكتفاء الذاتى فى الماء والغذاء هى الأكثر قدرة على الصمود فى وجه أى حصار أو عقوبات اقتصادية من أى نوع''.

كما ذكر أن الطبيعة السكانية المساعدة، والخصائص البشرية للمنطقة، من ناحية التدين والشجاعة والصبر على المشاق، وقابلية التحرك، تتوافر أكثر ما تكون فى منطقتين من العالم العربي، هما (اليمن والشام)، فكلاهما يقعان ضمن المجال الحيوى لقلب العالم الإسلامى، ونستطيع من خلالهما تحريك عموم المسلمين، وأما القدس فهى ضمن منطقة الشام التى تضم سوريا والأردن ولبنان وفلسطين بالإضافة إلى سيناء.

عن استراتيجية التحرك فى نظرية الذراعين، ذكر عبدالله محمد، أن المقصود هو أن القاعدة ستسيطر على منطقتين إحداهما باليمن، والأخرى بالشام (لاحظوا كلمة الظواهرى الأخيرة التى دعا فيها النصرة لإقامة إمارة)، ونجاح منطقة الشام يعتمد على الضغط الذى تحققه منطقة اليمن ضد قوات العدو، والعكس صحيح، عن طريق شبكة الإشغال العسكرية، وشبكة التثبيت، وشبكة التغطية، وهذه تدخل فيها بقية الجبهات بشكل جزئى، لأن تشتيت جهود أى تحالف عسكرى يحتاج مواقع تتبادل الضغط والتغطية فيما بينها، وهذا أهيأ ما يكون فى الشام واليمن لأن كل منهما يقع فى محيط بشرى يستطيع الإفادة منه، فاليمن سوف يستفيد من الطاقات الجهادية الموجودة فى منطقة الخليج العربى والصومال والسودان للترابط البرى والبحرى فيما بينها، والشام سوف يستفيد من أذرع الإمداد والتموين الآتية من العراق وتركيا ومصر وشمال جزيرة العرب.. فهذه ديناميكية لا ينقصها إلا الفوضى العارمة كى تبدأ بالعمل.

يكمل بقوله: "لكى أقرب الصورة أكثر أقول إننا فى حربنا ضد الحملة الصهيوصليبية قد فتحنا العديد من الجبهات فى باكستان وأفغانستان ووزيرستان والعراق واليمن والصومال والمغرب الإسلامى، ونشرنا أذرع عسكرية حرة فى منطقة الشام وأوربا، وبدأنا نجنى أولى ثمرات الحرب والتى ما زالت مستمرة منذ عشر سنين بالضعف الاقتصادى المنذر بالانهيار الكبير

للنظام المالى الأمريكى والاقتصاديات التابعة له، وذلك جراء حرب الاستنزاف التى اختارتها القيادة كنمط للقتال منذ التوجيه الاستراتيجى الأهم للشيخ أسامة بن لادن".

أنهى عبدالله محمد ما أطلق عليه مرحلة المصاولة، وقال إنها أوشكت على النهاية، وبمجرد الإعلان المفاجئ عن السحب الفورى للقوات الأمريكية من أفغانستان سنجد أنفسنا أمام وضع جديد يتطلب مجموعة تكتيكات جديدة للاستفادة من نتائج الحرب، ولا يعنى ذلك أن نعود إلى ما كنا فيه من ملاذات آمنة فى أفغانستان وغيرها لأنها تقع على الهامش، وخارج مناطق الحيوية والتأثير، فالاستثمار الجيد لمرحلة المصاولة، كما يكون فى أى حرب، تبدأ من مجموعة جبهات تستنزف العدو وتنهكه حتى يصل إلى نقطة (الانكسار) فنقوم عندها باختيار الجبهة المناسبة لنا.

حدد عبدالله محمد الخطوات عن طريق: التأمين الدعائى، والتأمين الذاتي، والردع، أما استراتيجية التحرك العسكرى فقسمها لثلاثة مراحل وهى (البناء – القتال – التمكين)، وهى مراحل تعتمد على السرية فى كل شيء، وترفع شعار "البناء من خلال المعركة" بحيث يكون الشغل الشاغل للمجاهدين يتركز فى تدريب وإعداد الكوادر العسكرية وبناء شبكات الرصد، وتشييد البنية التحتية، والتأمين الاستراتيجي، وهو الإجراءات المقترحة للعمل على شل قدرات العدو العملية على شن الحرب، وحرمانه من المميزات التى كانت تساعده فى الدخول إلى المنطقة، واستثمار السيولة.

استثمار السيولة

عن استثمار السيولة، الذى تحدث عنه عبدالله محمد، فببساطة استفادت السلفية الجهادية، والقاعدة، أو داعش وكياناتها المتنوعة فى مصر، من الواقع عقب ثورات الربيع العربي، واستثمرت بعض العوامل فى كيفية اختراق المجتمعات الشبابية على مختلف شرائحها وطبقاتها.

عقب سقوط حكم الجماعة بمصر، آمن قطاع كبير من شباب التنظيم بما يسمى «التأسيس الرابع للجماعة»، وفق ما كتبه الشاب الإخوانى محمد عباس من استانبول، وهو الذى يعنى إبعاد القيادات عن إدارة الجماعة، وعدم الارتباط بشخص المرشد، وعدم الإيمان بما يسمونه وفق أدبياتهم، «الخديعات الثلاث» وهى الديمقراطية، والتوافق، وخدمة الشعب، والإيمان بالجهاد، والصراع على التحكم وليس الحكم، وأن السياسة لتحكيم شرع الله وليست لخدمة الناس، ومن هذا التفكير انضمت عناصر إخوانية إلى الحركات المسلحة خارجياً وداخلياً، والحديث السابق هو عن مصر.

السيولة التى خلقتها جماعة الإخوان داخل التنظيم فى السنوات التى أعقبت ٢٥ يناير، للاستفادة من كل التنظيمات الموجودة، وعمل اصطفاف منها أمام من أطلقت عليهم العلمانيين، أوجدت («حازمون») وتنظيمات أخرى مشابهة، مثل أنصار الشريعة، أو طلاب الشريعة، وهى التنظيمات التى استطاعت فيما بعد التغلغل داخل المجتمعات الشبابية، واستثمرت حماستهم، إلى حمل السلاح، ومواجهة الدولة، وفى هذه المرحلة ظهر هذا التطور المنهجى الذى لم يمنع الاندماج بين كل الكيانات، وتبادل الأدوار.

حاولت، فى المقابل، داعش الاستفادة من تلك الحالة أيضًا، ونجحت إلى

حد ما فى ضم كل من يريد حمل السلاح، واجتذبت شباب الجماعات المنهارة، وأبناء العناصر المقبوض عليها، الذين ارتبطوا أيديولوجيا ونفسيا بالانتقام، أو من القطاعات الشبابية المختلفة.

زيادة على الانتقام والثأر، هناك العوامل الأخرى، مثل الإحباط، أو انعدام الأمل فى المستقبل، أو التحرك الجماعى فى قطيع الجماعات، أو التنظيمات الشبابية، مثل الأولتراس، الذى احتوى الآلاف من الشباب الذين يشعرون بالإحباط، ويفقدون الثقة فى الكبار.

كتب القيادى السلفي، عبدالمنعم الشحات، مقالاً على الموقع الرسمى للدعوة السلفية (أنا السلفي) عن ثقافة المرحلة، تساءل فيه عن الدعوة السلفية وكيف تستفيد بهذا الواقع، وقال: كيف نستثمر العوامل الإيجابية التى ظهرت فى مجتمع عانى من ويلات الكبت والقهر لعقود من الزمن؟ وما هى مخلفات المرحلة التى أطلت برأسها علينا؟، نحتاج الى عقد ورش عمل وصالونات ثقافية حول الوسائل التى نستطيع أن تحتوى بها الظاهرة الثورية، وكيفية اختراق المجتمعات الشبابية على مختلف شرائحها وطبقاتها. إن استغراق الجماعات الدعوية فى السياسة، وتقصيرها فى ملف الدعوة والتربية، أحدث شرخًا كبيرًا فى المجتمع، تلمسنا جميعًا آثاره ونتائجه، فلا بد أن نعود مرة أخرى وبأقصى سرعة إلى الاهتمام بهذه المحاور التى لن يهتم بها غيرنا، ولا بد أن يعود إلينا اللسان الدعوى وطريقة الحوار التربوية، لأن لغة السياسة أفقدتنا ولاشك مساحة من القبول المبدئى فى أوساط الشباب، وأصبح بعضهم ينظر إلينا بعين الخصم السياسى، أو المنافس الحزبى، بعد أن كان ينظر إلينا بعين التوقير.

ما سبق يعنى أن الدعوة السلفية، كتنظيم مماثل للإخوان، أو التنظيمات المسلحة، أدركت أنه يمكن أن يستفاد من الحماسة الشبابية، كما يمكن أن يخترقها، وأن يحتوى هذه الظاهرة الثورية الشبابية، من أجل التمدد على حساب التنظيمات الأخرى، التى نجحت فى ذلك عن طريق السيولة، كما عن طريق ترميم الهياكل التنظيمية من الداخل.

ترميم التنظيم

السيولة والخلط ما بين كل التقسيمات والدرجات جعل هناك أحيانًا علاقة واحدة تحدث ما بين بعض الشباب الذين التقوا فى دائرة واحدة اسمها الانتقام من الأنظمة، التى لاتحكم بالشريعة.

كشف مقتل القيادى أحمد جلال (سيف)، أو عز الدين المصرى، زعيم جماعة أجناد مصر، الذى قتل فى شقة بالرحاب، هذا الخلط، وتلك السيولة.

الحكاية، بالتفصيل، أن الداخلية المصرية نجحت إلى حد ما فى تفتيت تنظيم (أجناد مصر)، وأوقفته عن العمل منذ أن قتل خبير المتفجرات، همام محمد محمد أحمد عطية فى شارع فيصل، وكان الرجل، قد سافر إلى سوريا والعراق، وانضم إلى جماعة بيت المقدس، ثم انفصل عنها تكتيكيًا، لخلاف فى التكتيك العسكرى، لكنه لم يختلف معها فكرياً، رغم بيعتها فيما بعد لتنظيم داعش، وزعيمه أبى بكر البغدادى.

كان أحمد جلال أحمد محمد إسماعيل، اسمه الحركى (سيف)، ولقبه (عز الدين المصرى)، هو الذراع الأيمن لهمام، وساعتها كان مسؤولاً عن الدعاية والإعلام للتنظيم، ويلقب نفسه بأبو بلال القاهرى، وقد تلقى فى ذات الوقت دورات تدريبية مكثفة على التفجيرات عن بعد، وعلى تركيب القنابل.

عن طريق إدلاء عنصر فى أجناد مصر بمعلومات، تم الوصول إلى همام وقتله، وفر (سيف)، واختبأ لفترة طالت عن العام، لكنه كان يعمل بجد، من أجل إعادة بناء وترميم تنظيم أجناد مصر الذى تلقى ضربة كبيرة بمقتل زعيمه، وضربة أخرى، بمقتل مفكره، مالك الأمير عطا.

فى هذه الفترة قد بدأ ما يسمى بتنظيم (العقاب الثورى) عمله، ومعه بعض الكتائب الإخوانية الأخرى، مثل كتائب حلوان، وغيرها من الأسماء الكثيرة، التى خرجت متوالية، لتضليل الأجهزة الأمنية، ولتصعيب المهمة عليها.

استغل أحمد جلال هذه السيولة، فى إعادة برمجة وتشغيل الأجناد من جديد، ولم يكن هناك فروقاً كبيرة فكرية بين كل الذين يعملون فى هذه التنظيمات، فكلهم يؤمن بما يسمى (شوكة النكاية)، كما كلهم يعتقد أن هذا النظام مستبدل للشريعة، وأن رأسه كافر، مستباح الدم والعرض، وأن وزراءه لا يعذرون لا بجهل، ولا بتأويل.

نجح جلال فى إعادة تشكيل وترميم أجناد مصر، لكنه إلى حد ما، كان يؤمن بسياسة النفس الطويل، وارتأى أن الكمون لفترة وجيزة مهم لبناء تنظيمه، كما أدرك أن الحصول على المتفجرات، والأسلحة والذخيرة، هى دائمًا ما تكون البداية التى يصل بها الأمن للأفراد والعناصر المسلحة، فخطط للحصول على الأسلحة من ليبيا وإدخالها عبر الصحراء الغربية، وقام باستئجار شقق، ومحلات تجارية، ومنها الشقة التى كانت فى شارع اللبيني، وكانت أكبر مخزن للسلاح، حيث وجد بها ٥٠٠ قنبلة، مركبة، وجاهزة للتفجير.

عن طريق أحد الأعضاء توصل الأمن للقيادى (سيف)، فرصدوه لفترة ليست بالقصيرة، وعرفوا من يقابلونه، وبعدها قاموا باقتحام شقته بمدينة الرحاب، التى كان يدير منها التنظيم، رغم أنه من سكان المعادى، لكنه بادرهم بإطلاق النيران، وبعدها قتل وتم نقله لمشرحة زينهم، وبدأ سقوط المجموعات، فسقطت مجموعة الهرم، وكرداسة، وأخيرًا المعادى، التى واجهت الأمن بجسارة غريبة، ودامت المعركة المسلحة، أمس الأول أكثر من ٥ ساعات متواصلة، حتى قتل بها ٢ من قيادات التنظيم، ومن أعوان جلال.

كل المجموعات التى توصل لها الأمن، كانت مرتبطة بشكل كبير بأحمد

جلال، ورغم ذلك، استنكر حزب النور، وقال إن جلال قد أخفته الداخلية قسرياً!!

حزب النور أصدر هذا البيان لأن أحمد جلال كان عضواً عاملاً به، وأصدرت الإخوان بيانًا مماثلاً، لأن جلال كان يقيد كل مجموعاته المسلحة فى الفترة الأخيرة.

الداخلية المصرية قالت فى تعقيبها على معركة المعادى: «توافرت معلومات مؤكدة حول اتخاذ مجموعة من العناصر الإرهابية المسلحة والمرتبطين تنظيميًا بحركة نشاط القيادى المتوفى أحمد جلال أحمد محمد إسماعيل (حركي/ سيف) مسئول ما يسمى بتنظيم أجناد مصر، وسبق تورطه فى تنفيذ العديد من العمليات الإرهابية بنطاق محافظات المنطقة المركزية من إحدى الشقق السكنية الكائنة بالعقار رقم ٢ شارع الإمام حسن علي، من شارع عبد الحميد مكى البساتين القاهرة، وكرًا للاختباء وتصنيع المواد المتفجرة والانطلاق منها لتنفيذ أعمال عدائية ردًا على مصرع القيادى المذكور مؤخرًا فى مواجهة أمنية».

التمدد والعودة للعمل المسلح كان على حساب التنظيمات الأخرى، التى نجحت فى ذلك عن طريق السيولة، كما نجح جلال عن طريق ترميم تنظيم الأجناد.

التوسع فى التكفير

لا الاستدراج الاستراتيجي، ولا ترميم التنظيم، كان سينفع مطلقًا دون صناعة دائرة فكرية واحدة، يسهل من خلالها الانطلاق.

المنطلقات الفكرية لكل الجماعات القتالية الإسلاموية اقتربت كثيرًا فى الآونة الأخيرة، ومنها القاعدة وداعش على سبيل المثال، التى كان أبرز معالمها الفكرية يتمثل فى إقامة الخلافة الإسلامية على نهج النبوة، وتطبيق شرع الله، وممارسة الجهاد العالمى ضد اليهود والصليبيين من أجل تحرير فلسطين، ومواجهة الهيمنة الغربية وبخاصة الأميركية على العالم الإسلامي، ونصرة المستضعفين وتخليصهم من الظلم، وهو ما لا تختلف فيه عن دولة البغدادى.

نرى على سبيل المثال أن منطلقات القاعدة الدينية والعقيدية ومصادرها الفكرية تتفق فيها تمامًا مع تنظيم الدولة الإسلامية، مثل فتوى أهل ماردين، التى استندت إليها تيارات السلفية الجهادية فى إباحة قتال الحكام المسلمين.

يستند كثير من تنظيمات السلفية الجهادية إلى قاعدة التترس، أى جواز قتل المسلم إذا تترس به الكافر، كأساس شرعى لتبرير بعض العمليات العسكرية التى يترتب عليها قتل.

تنظيم القاعدة آمن بالمذهب القائل إن الإسلام أوجب قتال غير المسلمين (إطلاقاً)، وغزو العالم لنشر الدعوة، وهو مذهب سيد قطب، فى تفسير سورة التوبة[٤٣]، ومذهب تقى الدين النبهانى مؤسس حزب التحرير، فى قوله (إن قول رسول الله عليه الصلاة والسلام وفعله يدل دلالة واضحة على أن الجهاد هو بدء الكفار بالقتال لإعلاء كلمة الله ونشر الإسلام) غير أنه يربط هذا الجهاد بشرط قيام دوله الخلافة.

٤٣- سيد قطب، فى ظلال القرآن، ج١٠، ص٥٦٤.

يجيز القاعدة هو وتنظيم الدولة قتل المدنيين من الأعداء وحلفائهم، وهذه كانت أهم نقطة خلاف بين تنظيم القاعدة والعديد من الشخصيات والتنظيمات الاسلامية، التى ترى أن حرمة قتل المدنيين قطعية، إلا أن ''تنظيم الدولة'' توسع فى التكفير وفى القتل؛ بناء على التوسع فى التكفير، كما توسع فى نظرية التترس، أو قتل من لا يبايع البغدادي، كما امتحن الناس فى عقائدهم بغرض تصنيفهم، حتى وصل بها الأمر لامتحان الظواهرى نفسه فى تكفير عوام الشيعة والإخوان، بما يذكر بالخوارج الأوائل الذين كانوا يدينون بـ (الاستعراض) أى استجواب الناس فى عقائدهم وقتلهم بناء على ذلك'' [٤٤].

كما خرج ''تنظيم الدولة'' ليزايد على القاعدة فى التكفير، وادعاء القيومية على الأفكار التأسيسية، كما فى استشهادات العدنانى فى مفتتح رده على الظواهرى بنصوص لابن لادن، وأبى يحيى الليبي، والزرقاوي، وأن فيها عبارات تكفيرية، كأنه يعرض بأن الظواهرى لم يعد على ذات الخط التكفيري!.

إن أوجه الشبه بين التنظيمين كبيرة وأكثر من ذلك، لكن أكثرها طرافة بناء ''تنظيم الدولة'' جانبًا واسعًا من تنظيره وممارسته على ذات النظريات السلفية فى طاعة ولى الأمر، لكنه كان هذه المرة هو أمير ''تنظيم الدولة'' الواجب البيعة، أبو بكر البغدادي، ومن ينوب عنه، وحرمة الإنكار العلنى عليه، التى قد تعنى الكفر، وتوجب القتل.

مشكلة ''تنظيم الدولة'' أنه فرض وبنى نظرياته على فرضيات ما يحسبه حقائق، مثلما افترض وصَدّق أنه دولة الإسلام فى العراق والشام، وكما افترض ثم اعتقد أن بذل البيعة لها حق مسلم به، حتى بات يستبيح قتل مخالفيه، مثلما فعلت بمن وقع بيده من (جبهة النصرة)، وغيرها من التنظيمات المسلحة الجهادية، لأنهم بحسبها مرتدون.

٤٤- http://m.arabi21.com/Story/749809

نجد فى سلسلة (قمع الفتنة فى مهدها) والكتاب رقم ٣ بعنوان (نور اليقين).. وهو (شرح عقيدة تنظيم القاعدة فى بلاد الرافدين) لأبى مارية القرشي، أن المؤلف اعتمد على رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى عقيدة التوحيد. فقد ذكر فى (ص ٧) نواقض الإسلام العشرة كما ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن بينها (من لم يكفر المشركين أو شك فى كفرهم أو صحح مذهبهم كفراً إجماعًا).

يرى المؤلف وجوب اجتماع الأئمة والمجاهدين خاصة تحت راية واحدة، وهى كما ورد فى الحاشية (تحت إمرة دولة العراق الإسلامية) التى باتت تعرف الآن باسم الدولة الاسلامية فى العراق والشام (تنظيم الدولة)، وقد صادقت عليه اللجنة الشرعية لتنظيم القاعدة فى بلاد الرافدين، قبل ظهور تنظيم الدولة.

د. طارق عبد الحليم، أحد أبرز مفكرى السلفية الجهادية، تحدث عن الخلافات العقدية والسياسية بين جبهة النصرة، حليف القاعدة، وبين تنظيم الدولة، وقال إن الأولى على مستويين، خلافٌ فى أصل المسألة، وخلافٌ فى مناطها ومن ثم تطبيقها، ومثال على ذلك أنّ كلّ مسلم، بلا استثناء، يؤمن بأن مرتكب الشرك الأكبر كافرٌ. لكن يأتى الخلاف فى مَناطات هذا الأصل، وهو هل هناك مانعٌ من تكفير هذا المعينّ بالذات، أو تكفير من ثبت فى حقه عارض من العوارض، وإلى أى درجة يتعلق هذا المانع بمنع تكفيره، وهكذا. فهنا يتحد الأصل، ثم تتفرق صور التطبيق. ومن الظلم البيّن والجهل المردى أن نسوّى بين المستويين من الخلاف، والنقطة الرئيسة فى الاشتباك، أو الاشتباه العقدى إن شئت، تقع فى مسألة الاستعانة أو التعاون مع جهات ''مرتدة'' ضد مسلمين، وهذا أمرٌ جللٌ يجب ألا يتصدى له إلا العلماء بحق، إذ يترتب عليه استباحة أموال وأعراض وأموال، لا يجب استحلالها إلا بالحق. وتحديد إسلام طائفة من عدمه، يتوقف على أمرين: عقيدتها المعلنة، وتصرفاتها على الأرض، ومفهوم المخالفة هنا لا يعمل، بمعنى أنه لو قالت: نرضى بحكم الإسلام

ونسعى له بطريق ديموقراطيّ، فهنا تقع الشبهة التى يجب التحرى عنها، وعن مقصودها، فإن كان ذلك منها إيماناً بمبادئ الديموقراطية التى هى رفض حكم الله للشعب، وقبول حكم الشعب للشعب، فهذه ردة بيقين، وإن شاب عقيدتها المُعلنة شرك واضح جلى كأن ذكرت أنها لا تتحاكم إلى الشرع، بل إلى القوانين الوضعية وتتبنى العلمانية، فهذا نقض لعقيدة الإسلام، وردة صريحة بيقين، ثم يأتى هنا وقوع الحكم على المعيّن، والنقطة الأهم هى إطلاق أحكام التكفير بلا اعتبار لأوجه الخلاف فيه، ثم القتل بناءً على ذلك النظر[٤٥].

٤٥- د. طارق عبد الحليم، مسائل حاسمة فى العلاقة بين الدولة والنصرة، مركز المقريزى للدراسات.
http://www.almaqreze.net/ar/print.php?type=N&item_id=2394

obeikan.com

التصويب نحو الهدف

كانت الأفكار والأنماط الأيديولوجية السابقة هى أسبق دائماً من التجنيد، هذا فى أوراق القيادى عبدالله العدم، التى هى دستور لكل الجماعات الإرهابية لكيفية التجنيد وصناعة إرهابى.

المرحلة الأولى، لدى العدم فى التجنيد هى التصويب نحو الهدف وجمع التحريات، وهى المرحلة التى يقارن فيها بين المواصفات المطلوبة والمحددة تنظيميًّا، وبين الشخص المراد تنظيمه.

يشير العدم إلى أن هناك شروطًا توضح الانضمام لكل جماعة تريد أن تعمل لـــ ''دين الله''، وأنهم يجب أن ينظروا لهذه الشروط والمواصفات، إذا كانت موجودة فى هذا الأخ أو فى هذا الفرد، يتم الانتقال إلى المرحلة الثانية من هذا العمل، ومنها معرفة ماضى هذا الشخص بحيث يخلو من أى نقطة سيطرة يمكن أن تؤثر على مستقبله، مثال ذلك كون الشخص كانت له علاقة بحركة سياسية سابقة، ولكن سبب تركه لها غير معروف لدى عامة الناس، لكنه معروف لأشخاص معينين أو للسلطة.

تبدأ الحركة بالتحرى وجمع المعلومات، والأهم معرفة ''قناعاته السياسية الحاضرة''، ملفتاً إلى أنه يمكن معرفة ذلك عن طريق سؤال الآخرين من أقربائه وأصدقائه وزملاء العمل.

يوضح ''العدم'' بشكل واضح: ''قبل أن نعرض فكرتنا على هذا الرجل يجب أن نعرف فكره السياسي، ما هو تصوره وفكره عن الدولة الإسلاميّة، أو المفاهيم التى يُتوصّل بها إلى إقامة المجتمع المسلم''.

يقول العدم: أنت من خلال النقاش تستطيع أن تعرف ما هى قناعته، فإذا رأيت أنه يميل إلى العمل الجهادي، فهنا أنت ممكن أن تعرض عليه أو تحضر له فلم معك عن الحركة الجهادية، أو عن الجهاد فى مكان فتنظر ما هى ردّة فعله، ربما أنت تضع الفلم وتنظر أنت إلى وجهه، كيف تحركاته، ماذا يقول، هل هو متشجع يقول لك، ممكن يسب هؤلاء، ممكن يتكلم فيهم بخير، بهذه الطريقة تستطيع بالتدرّج، سنتكلم إن شاء الله عن كيف تستطيع تجنّده وتعرف أفكاره.

ثم يبدأ ''العدم'' فى تبويب المعلومات المطلوب جمعها عن الشخص لتغطية النقاط السابقة كما يلي: ماذا نحتاج من معلومات عن هذا الأخ؟ كيف نستطيع أن نجمع معلومات؟ ما هى المعلومات التى نحتاجها حتى تكون عندنا صورة وفكرة واضحة عن هذا الشخص الذى نريده أن ينضمّ للعمل معنا، هذه المعلومات هى التى بناءً عليها نستطيع أن نحكم على هذا الشخص.

المرحلة الثانية لدى العدم هى (بناء الجسور المؤمنة)، ومعرفة هل يصلح الشخص للعمل الجهادى والتنظيمي، وعند التأكد من ذلك تبدأ المرحلة الثانية، وهى إقامة علاقة شخصية معه، وهنا يشرح عبدالله العدم كيفية إقامة علاقة بين الشخص القائم بالعمل التنظيمي، وبين الشخص المراد تنظيمه لإفهامه طبيعة هذا الدين على حد قوله، وتكوين وحدة فكرية يستمر من خلالها داخل الجماعة.

يشير ''العدم'' إلى أن الأمور التى تجعل هذا الفرد ينتظم فى العمل الجهادي، أو العمل التنظيمي، ويرتبط ارتباطًا قويًّا ومصيريًّا بالعمل، بالجماعة، منها: أن يرتبط بالجماعة بعلاقة اجتماعيّة، أسريّة؛ زواج إلى غير ذلك، ووجود علاقات فكريّة لتوحيد الرؤية وأسلوب العمل بأن يكون الرابط بينهم وبينه الفكر، والأسلوب الصحيح للعمل، حتى لا تختلف وجهات النظر، وأساليب العمل.

يرى ''العدم'' أن هناك نوعين من الذين يعملون فى الجماعة: رجل علنيّ، ظاهر للناس، معروف بشكله ومواصفاته وصوته، وصورته، وغير ذلك،

ورجل سرى يعمل بالخفاء.

ويكمل: ليس هناك الآن فى العمل الجهادى شيء اسمه سرى وعلنى، العمل الجهادى الآن كله عمل سرى.

أما المرحلة الرابعة، فهى الإعداد العسكرى والأمني، فيتحدث عما يسميه الناقل والمضافات، أى ''التربية الشرعيّة السياسية'' مشدداً على أنه يجب على الأخ الذى يلتحق بالعمل الجهادي، أو يلتحق بالتنظيم الجهادى أن نربيه تربية شرعيّة، وتربية سياسية، أن نغرس فيه الولاء لدين الله عز وجل، والبراءة من الكفار، نفهمه أمور دينه جيّدًا، نفهمه الجهاد جيّدًا، يجب أن يقاتل ويجاهد على بصيرة.

تحويل شخص للعمل المسلح الإرهابي، يمر بمراحل متنوعة ومتعددة، وهى لا تختلف كثيراً عن مناهج جماعة الإخوان، لوضع شخص داخل الجماعة، وهذه المراحل يمكن أن تتوقف، لو تم وضع استراتيجيات مضادة لعمليات التجنيد ومراحلها.

استهداف الطلاب

الطلاب بالطبع هم أول المستهدفين فى عمليات التجنيد التى تحدث عنها عبدالله العدم، وفى ورقة خرجت من المجلس الثقافى البريطاني، ونشرتها الجارديان، أن ٤٤٪ من الجهاديين الأجانب حاصلون على درجات فى الهندسة، وقد ارتفع هذا الرقم فى عام ٢٠١٦ إلى ٥٩٪.

خلصت مارتن روز، مستشار المجلس الثقافى البريطانى المتخصص فى شؤون منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، إلى أن ما يقرب من نصف (٤٨,٥٪) من الجهاديين تم تجنيدهم فى منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، من خريجى التعليم العالى.

كما خلصت إلى أنه فى يونيو وجدت دراسة أن ١٨ مسلما بريطانيا متورطون فى الهجمات الإرهابية، وثمانية منهم كانوا قد درسوا الهندسة أو تكنولوجيا المعلومات، وأربعة العلوم والصيدلة والرياضيات، وواحد فقط كان قد درس العلوم الإنسانية.

الغالبية العظمى ممن تم تجنيدهم فى الإرهاب الإسلامى درس الهندسة والعلوم والطب، ولا شيء تقريبا هم من خريجى العلوم أو الفنون الاجتماعي، وفقا للبحث.

ضربت مارتن روز مثلاً بسيف الدين رزقي، الإرهابى المسؤول عن مذبحة السياح على الشاطئ التونسي، وكان حاصلاً على درجة الماجستير فى الهندسة الكهربائية.

قالت روز فى دراستها، إن الدراسة فى مثل كلية الهندسة لا تستطيع تحصين العقل، وغرس التفكير النقدى فى الطريقة التى المناقشات داخل قاعات

التدريس، لذا فإن «عقلية الهندسة»، تجعل الطلبة أسهل فريسة لتجنيد إرهابيين.

اعتمدت روز فى تقريره على مجموعة من الدراسات الأكاديمية وملف الاستخبارات البريطانية، التى تصف الشخص الذى يقوم بعملية التجنيد أنه مثالى وذكى وفضولى.

أكدت أن ثقافة تدريس العلوم، عبارة عن ثنائيات ومعادلات الحق والخطأ، الصحيح وغير الصحيح، وهذا يضر قدرة طلاب العلوم والهندسة لتطوير مهارات الفحص النقدي، وهى ليست ظاهرة تقتصر على الجامعات الأجنبية، لافتا إلى تقارير عن تزايد جاذبية التجنيد لبعض طلاب الطب المسلمين البريطانيين.

ربما كان مجرد انعكاس لحقيقة أن فى جميع أنحاء العالم العربى الطب والهندسة والعلوم الطبيعية – فى هذا النظام – هى كليات جامعة النخبة التى تجذب الطلاب المتفوقين، لأنها تقليديا تؤدى إلى الوظائف المرموقة.

وفقا لروز، ما يقرب من ٧٠٪ من الطلاب فى منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا اعتمدوا على دراسة العلوم الاجتماعية، على الرغم من حقيقة أن التعليم هو فى كثير من الأحيان فى هذه الدول هو الأكثر فقرا فى تلك الإدارات الجامعية، والنهج التربوى يعمل بمبدأ الأبيض والأسود من وجهة نظر عالمية الجهادية، وفى معنى واحد لا يوجد شيء جديد فى هذا، ففى عام ٢٠٠٣ أشار تقرير التنمية البشرية للأمم المتحدة إلى أن مناهج التعليم العربية تشجع تقديم الطاعة والتبعية والامتثال، بدلا من التفكير النقدى الحر.

ما قامت به روز هو لتسليط الضوء على سمات محددة تتميز بها «عقلية الهندسة»، ومنها أن الدراسة لا تسمح له بالتفكير، وهى عبارة عن معادلات جامدة، مما يجعل التنظيمات تخاطبهم بأفكار من قلب كل من السلفية والفكر الجهادى.

ربما كان الخلل ببساطة نتيجة لنداء فى سبتمبر ٢٠١٤ تم توجيهه من قبل زعيم الدولة الإسلامية، أبو بكر البغدادي، لـ«القضاة والأطباء والمهندسين وذوى الخبرة العسكرية والإدارية» للانضمام الى ما يسمى دولة الخلافة، لكن وفق الدراسة فإن المهندسين والأطباء أعطوا هناك أدوارًا غير فنية وقريبة من تخصصاتهم.

دعت روز إلى «أنسنة» تدريس المواد العلمية والتقنية، وإعطاء الطلاب الضعفاء الأدوات الفكرية سواء علمية أو سياسية أو دينية أو علمية، وتقديم مدخلات لهم لفتح التفكير فى الثقافة الإسلامية بشكل وسطى.

أشارت فى ختام بحثها إلى أن انتماء الغالبية العظمى من المنتمين للإرهابيين يعيقهم التنظيم بشكل أضخم عن التفكير بصورة مثلى.

يدعونا بحث روز إلى التفكير بشكل جدى فى التعليم، ومدخلاته والمخرجات منه، وكيفية الوصول إلى ما يسمى الجودة التربوية الشاملة، وإلا فلننتظر مزيداً من الإرهابيين.

obeikan.com

خلق الوعاء

تبحث الجماعات المسلحة، والجيل الجديد من الجهاديين، عن مخزن فكرى أو تربوى جامع لكل الأفراد المؤمنين بنفس النمط الأيديولوجي، وكان الوعاء هو «حازمون».

«حازمون» هى النتيجة الطبيعية لتلك الميزات والاستراتيجيات التى ظهرت عقب ثورات الربيع العربي، لأنها تميزت بميزة لا توجد فى أى جماعة من الجماعات التى ظهرت بعد ثورات الربيع العربي، وهى أن بها حالة سيولة كبيرة، فقد ضمت داخلها تلك الأفكار المتنوعة والمتعددة، ولم تميز بين أعضائها، طالما أنهم يؤمنون بالفكرة الجهادية، فضلاً عن أنها لم تعمل بشكل تنظيمى هرمى أو عنقودى.

فى حادث الهجوم على فندق الغردقة، قتل أبو مصعب، محمد حسن محمد محفوظ، مواليد ١٩٩٤، طالب، ومقيم بالجيزة، وأصيب رمضان عبد الحميد، من منطقة حلوان بالقاهرة، وكلاهما جندتهما حركة «حازمون»، واستقطبتهما بحجة السفر لسوريا، والشهادة فى سبيل الله، ثم والت خطواتها التأهيلية لهما، حتى شكلا مع آخرين خلية مسلحة للهجوم على السياح الأجانب.

جريمة حازم أبو إسماعيل، أنه تسبب فى إنشاء تلك الحركة، التى التحق بها كل التيارات التى تقف فى اليمين من جماعة الإخوان، وهى الامتداد للتيار القطبي، بل ودعم مالياً عن طريق جمعه للتبرعات لأحمد عشوش، زعيم أنصار الشريعة بمصر.

لم تنته حركة «حازمون» حتى اللحظة، رغم سجن والدها الروحى

أبو إسماعيل، وتقوم باستقطاب الشباب الذى تتوسم فيه القدرة على القتال والرغبة فى الشهادة، لتقوم بعملية تدريب فكرى له، ثم تتوالى باقى الخطوات التأهيلية، التى تصل فى النهاية لانضمام العضو لأى تنظيم مسلح خارجى أو داخلى، بغض النظر عن اسمه.

من ميزات هذه الحركة أنها تحوى بداخلها مجموعة من الحركات الأخرى، واستوعبتهم فى دائرة واحدة، حيث انضمت لها حركة «طلاب الشريعة» وهى مجموعة من تلاميذ السلفية الجهادية المتحمسين للفكرة الجهادية.

لما اختفت تلك الحركة استطاعت «حازمون» توليد مجموعات أخرى، مثل «أحرار حازمون»، الذين أنشأوا فيما بعد على مواقع التواصل الاجتماعى «حازمون» ضد الانقلاب»، و«حازمون ولن نقهر بإذن الله»، و«حازمون حتى نهاية المطاف».

الأخطر فى حركة «حازمون» أنها تغلغلت بين مجموعات تشجيع الأندية الرياضية، ونجحت فى توجيه شبابها، وتجنيد عناصر كثيرين منها، وهذا ما ورد فى اعترافات أغلب أعضائها المقبوض عليهم، فى عمليات عنف مسلح بعد ٣٠ يونيو.

عقب عملية برج «نايل سات» بالقرب من مدينة الإنتاج الإعلامى، اعترف عدد من المقبوض عليهم من «حازمون»، أنهم أسسوا لمرحلة جديدة للعمليات المسلحة، عقب مقتل مؤسس جماعة «أجناد مصر» همام محمد عطية (مجد الدين المصرى) تم التركيز فيها على العمليات النوعية داخل المحافظات، وتحديدًا القاهرة والشرقية، حيث إن الأولى يتواجد فيها عدد كبير من الدائرة التى تضم جماعة «حازمون»، والجبهة السلفية، وتلاميذ محمد عبدالمقصود، وأتباع رفاعى سرور، والسلفية الجهادية، والأخيرة، يتواجد فيها العائدون من سوريا، وبقايا جماعة الجهاد القديمة.

أثبتت اعترافات المقبوض عليهم فى أحداث الاتحادية، عبر وثائق التحقيقات طرفنا، أن أغلب العناصر تخرجت من تحت حازم أبو إسماعيل، الذى كان خطابه الثورى الإسلامى يعجب الكثيرين منهم، وأنهم فى ميدان التحرير بايعوا التنظيمات المسلحة، وأكدوا على مواصلة العمل لإخراج أتباعهم من السجون، وأنهم سيشنون أكبر قدر من العمليات الإرهابية ضد الأجهزة الأمنية.

فى الخلفية من هذه التنظيمات كان يقبع المحرضون، ويقبع المخزن الكبير لكل هذه الجماعات، وهى «حازمون»، والجبهة السلفية، والمنسحبة مؤخرا مما يعرف باسم التحالف الوطنى لدعم الشرعية، التى يقودها الهارب خالد سعيد، فقد تشكلت جماعة «أجناد مصر» من مجموعة من طلاب كلية الهندسة جامعة القاهرة، والذين كان أغلبهم من أتباع حازم صلاح أبو إسماعيل.

عبر عن تلك العلاقة بكل تأكيد أحمد عرفة المتهم بانتمائه لحازم أبو إسماعيل، وعضو تنظيم (أحرار)، والعضو بمكتبها السياسى، حيث اعترف فى التحقيقات أنهم استهدفوا الشباب الصغار، ونجحوا بالفعل فى إرسال عدد منهم إلى سوريا للقتال مع جماعة أحرار الشام هناك، التى انضم إليها أحمد مبروك سلامة، أحد مؤسسى تنظيم الجهاد بمصر، والمسؤول عن استقبال المصريين بسوريا.

أكد عرفة أن أول ظهور لحركة «أحرار» المنبثقة من أتباع حازم أبو إسماعيل، فى ٢٤ نوفمبر ٢٠١٢ أمام دار القضاء حيث كان يعقد المستشار أحمد الزند، رئيس نادى القضاة جمعية عمومية طارئة للقضاة للاحتجاج على الإعلان الدستورى الذى أصدره الدكتور محمد مرسى حينها.

«حازمون» بدأت من أفكار حازم أبو إسماعيل، كرمز يلتف حوله كل الخارجين على الدولة، وعضويتها لم تكن قاصرة على السلفيين فقط، بل ضمت

كثيرًا من غير المتدينين، كما انضم لها قطاع كبير من شباب الإخوان الذين آمنوا بما يسمى «التأسيس الرابع للجماعة».

من هذا التفكير انضمت عناصر إخوانية إلى «حازمون» وغيرها، ودخلوا فى أتون هذا المخزن، ليتوزعوا بعدها على عدد من الجماعات المسلحة، وحدث الخلط التام بين الجماعات المسلحة، والإخوان.

obeikan.com

إلغاء الفسططة

إن النماذج الجديدة من أعضاء الأجنحة العسكرية لجماعات الإسلام السياسي، نشأت بعيدًا عن فكرة (الفسطاط) أى فسطاط الإيمان، وفسطاط الكفر، وبعيدًا عن فكرة الفقر والاقتصاد والظروف الاجتماعية، فهى نماذج مختلفة تمامًا فى تصوراتها، و دوافعها.

عبدالرحمن الغرابلى، ٢١ سنة، من محافظة بورسعيد، طالب فى السنة الأخيرة فى كلية الإعلام، قتل فى سيناء بمصر، واكتشف أصحابه، وزملاؤه فى الجامعة، أنه التحق بتنظيم (داعش) الذى أطلق على نفسه (ولاية سيناء).

زملاء الغرابلى وأصدقاؤه، نعوه، وحكوا عنه أشياء كثيرة، نقلوها فى وسائل التواصل الاجتماعي، عن أنه محبوب للغاية، وأنه هادئ الطباع، ومرح الوجه، وطيب القلب.

بالمعنى الأدق، الغرابلى طالب مجتهد، سلوكه ليس عنيفًا، ولا انطوائيًا، وظروف أسرته المادية مستقرة تمامًا، وميسورة الحال، وهذا معناه أنه غير محتاج لأموال، ولم يتسبب الفقر فى تحولاته الفكرية.

شارك عبد الرحمن فى ثورة يناير المصرية، ولم ينتخب مرسى فى الجولة الأولى، ووفق أصحابه فإنه قاطع جولة الإعادة!!، وإنه كان شاعرًا وأديبًا، وكان يستعد لأن يكون صحفيًا مميزًا.

أنا أشرح هذه الظروف، من أجل هؤلاء الذين يفسرون تحولات الشباب ويذهبون بأسبابها فى اتجاه الفقر والجهل، و(الأكلاشيهات) المعروفة، التى تبتعد بنا عن الأسباب الحقيقية.

صورة عبدالرحمن قبل التحاقه بـ(داعش)، وصورته وهو فى سيناء مختلفة تمامًا، حينما تنظر إلى كلتا الصورتين، وتقرأ حكاوى أصحابه عن شخصيته، لابد وأن تتعجب من حجم التحول الذى حدث له.

ضع صورة عبدالرحمن الغرابلي، عقب التحاقه بتنظيم داعش، بجوار صورة الشاب الذى نفذ تفجير فندق «سويس إن»، وقتل قضاة العريش فى نوفمبر ٢٠١٥، وهو أيضاً كان طالبًا جامعيًا من القاهرة، ووالده كان ضابط جيش سابق، ستشعر كيف هما شيء واحد، وكيف كان حجم ونوع التحول الذى حصل لهما، وحصل فى تفكير قطاع كبير من شباب جامعي، عادى جدًا، يعيش بيننا.

ذكرتنى صورة الغرابلى، بصورة ياسر عبدالحكيم، طالب الهندسة المجتهد، والمتفوق على كل دفعته، من المنوفية، والذى كان يسكن معى فى غرفة واحدة بالمدينة الجامعية، لمدة عام كامل، وفجأة حدثت له التحولات غير الاعتيادية، حتى أصبح عضوًا فى الجناح العسكرى، وتقريبًا كان واحدًا ممن أطلق الرصاصات على رفعت المحجوب، رئيس مجلس الشعب المصرى الأسبق، وقتل بعدها على أيدى رجال الأمن، بالقرب من حديقة حيوان الجيزة.

كما ذكرتنى أيضاً بصورة (جارى) ياسر مصطفى، طالب هندسة أسيوط، المجتهد جدًّا والمتفوق فى دراسته، والخلوق جدًّا لأقصى درجة، والذى كان يأبى أن يتكلم بالعامية، كما يأبى أن يترك المسجد إلا قليلاً، وفجأة تحول إلى عضو عسكري، شارك فى أغلب أحداث الصعيد، وقتل بنفسه اللواء الشيمي، حتى توصلوا إليه، وقتلوه فى إحدى شقق الطلاب فى سوهاج.

سنوات طويلة تفصل ما بين الياسرين، عبدالحكيم، ومصطفى، وبين أحمد جلال، زعيم أجناد مصر، الذى نعته كل الجماعات، وطبع أصحابه فى صفحته بعد وفاته، صفة التدين والأخلاق، رغم أنه كان مخططاً محترفًا لجماعة أجناد

مصر الجهادية طيلة عامين سابقين كاملين.

كيف يعيش هؤلاء بين أظهرنا ونحن نعشقهم؟ كيف نصفهم بالخلق والهدوء؟ وكيف يتحولون؟ وكيف بعدها يقتِلون ويقتلون؟ أليست هذه أسئلة منطقية؟

لكى نفهم طبيعة هؤلاء، علينا أن نفهم ما جرى من تحولات بعد ٢٥ يناير، وحتى الآن، عند قطاع كبير من الشباب، وحجم متطلباتهم، وحجم الصورة التى تصلهم عن علاقة النظام السياسى بالشعب، وشكل المواجهات التى تحدث مع تيارات الإسلام السياسى على العموم، وهذا كله خلق دوافع عند كثير من الشباب، جعلته يكفر بالحل السلمي، وجعلت شبابًا مثل عبد الرحمن الغرابلي، حلموا بمصر أحلى، ووجدوا من شرح وفسر وأوضح وقال لهم، إن الوطن لن يعود إلا بالسلاح والقوة لتغيير الواقع المؤسف.

فى الأسابيع الماضية، تم القبض على عدد من الخلايا، ومنهم خلية كبرى بالقاهرة وضواحيها، وحين تم التحقيق معهم، اكتشفوا أنهم كلهم، أجمعوا على أن تحريض قيادات الخارج، ووصف النظام المصرى بالانقلابى، العميل، الذى يبيع أرضه لليهود، هو السبب فى كفرهم بالعمل السلمى، واتجاههم للعمل المسلح.

اتفق أو اختلف مع عبد الرحمن لكن لا تختلف معى فى أنه ضحية مجموعة من القتلة، والمحرضين، ومعدومى الإنسانية، الذين دفعوه لكى يذهب إلى سيناء.

مصر ستنتج آلاف النماذج مثل عبد الرحمن الغرابلي، لأن المسؤولية ليست المحرضين فقط، بل مسؤولية سلطة وأجهزة، ومؤسسات دينية، وأركان فى الدولة، وإعلام، سيجعلون هؤلاء يكفرون بالسلمية، ولا يجدون حلاً إلا العمل السرى المسلح.

إنشاء الشبكة

اعتمدت الجماعات المسلحة التى ظهرت عقب ثورات الربيع العربي، على إنشاء شبكات جهادية جديدة، فى الغالب فى المناطق المهمشة.

وفق ما نشرته وكالة الأنباء الفرنسية فى تقرير عن الجهاز المركزى للاستخبارات الفرنسية بعنوان «انغلاق المجتمعات فى الأحياء الشعبية»، فهناك تم رصد تجاوزات ومظاهر «تشدد إسلامي» فى عدد من النوادى الرياضية لكرة القدم داخل بعض الضواحى الفرنسية.

أشار التقرير إلى ملاحظة تتعلق «ببسط سجادات صلاة من أجل أدائها فى فترة الاستراحة ما بين الشوطين»، أثناء مباريات لكرة القدم.

التقرير الفرنسى تحدث عن أن إرهابيى فرنسا كلهم تلقوا تعليمًا علمانيًا، ومعظمهم حصل على مستوى تعليمى جيد، وينتمى معظمهم إلى الطبقات الوسطى.

المهم أن التقرير أكد أن أطروحة الجهل والفقر والأمية كأطر تفسيرية لدوافع الجهاديين خاطئة، وأن التجنيد يتم عبر الإنترنت فقط أيضاً تفسير خاطئ.

بالفعل فقد لوحظ فى الآونة الأخيرة، خاصة حادثى باريس وبروكسل، أن منفذى الحادثين كلهم جاءوا من دائرة واحدة، وهى من خلال شبكات والصداقة، ودوائر الأسرة والقرابة، وليس فى الفضاءات الافتراضية والمتخيلة على شبكة الإنترنت، على سبيل المثال الأخوين كواشي، والأخوين بكراوى.

لو لاحظنا، سنجد أنه حتى فى الجماعات الهرمية المصرية الكبيرة، فإن علاقات القرابة لها دور كبير جداً، وبحسبة بسيطة سنجد أن الدوائر القيادية كلها مرتبطة برباط المصاهرة والزواج والقرابة، وبشكل عام الصداقة.

الباحث الفرنسى (سكوت أتران) يرى أن الجهاديين غالبا يعتمدون على العائلة والزواج لاستكمال مجموعاتهم المسلحة، وهو تطور مهم، لأنهم عندما استطاعوا تشكيل مجموعاتهم بناءً على علاقات القرابة والزواج، أصبحوا مقيدين بشكل متصاعد، بثقة يصعب على مجهودات مكافحة الإرهاب أن تخترقها أو تكسرها، وهو الملاحظ فى بعض التفجيرات، مثل تفجير بالى ٢٠٠٢، وتفجيرات فندق ماريوت فى جاكرتا ٢٠٠٩، ففى التفجير الأول ثلاثة من المشاركين كانوا أخوة، وفى التفجير الثانى أربعة من العناصر الرئيسية كانوا من عائلة واحدة، وهذا ما لوحظ أيضا فى تفجيرات مدريد، وتكرر فى هجمات باريس الأولى مع الأخوين شريف وسعيد كواشي، والثانية مع الأخوين إبراهيم وصلاح عبد السلام، وكذلك هجمات بروكسل مع الأخوين خالد وإبراهيم البكراوي، وقد كشفت التحقيقات عن علاقات صداقة واسعة داخل هذه الشبكات.

هناك صورة أخرى رسمها التقرير عن العلاقة بين السلفيين وملاعب كرة القدم، وهو نفس ما أشرنا إليه من قبل فى حديثنا عن (المؤمن المرتل للقرآن حين أصبح زعيماً لداعش) لوليم ماكنتوش، الذى ذكر كيف أن مسجد الحاج زيدان فى حى الطوبجى المتواضع فى بغداد، هو المكان الذى أتاح للبغدادى أن ينغمس بممارسة هوايته المفضلة وهى لعبة كرة القدم.

كان فى المسجد ناد لكرة القدم، وكان البغدادى هو نجمه «ميسى الفريق» (فى إشارة إلى اللاعب الأرجنتينى ليونيل ميسي). وأثناء اعتقاله فى معسكر بوكر فى جنوب العراق، أدهش البغدادى رفاقه وسجانيه فى ملعب كرة القدم، حيث جرت مقارنته بمارادونا. بيد أن الأهم ما ذكر نقلا عن أحد السجناء

الذى روى له كيف «استطاع البغدادى عبر الصداقات التى تشكلت من كرة القدم ويوميات السجن أن يحول معتقل بوكر إلى مركز لاستقطاب المقاتلين».

الباحث «سكوت اتران» تحدث أيضاً عن العلاقة بين الجهاديين وكرة القدم، حيث أكد عبر بعض المقابلات أن هناك إرهابيين كانت هوايتهم قبل التحاقهم بالقاعدة وداعش هى كرة القدم.

لعل ما سبق، يمكن أن ندلل عليه، بتلك الشبكات العنقودية، التى تشكلت فى مصر مؤخراً، والتى ثبت فيما بعد أن كلها بدأت من العلاقة الرياضية فى النوادى والمجموعات الرياضية (الألتراس).

تحدث آخرون عن «داعش» موازية يمكن البحث عنها على ضفاف المساحة التى أعلنتها، وهى تلك البؤر التى جعلت الكثير يهاجرون مع عائلاتهم ومجتمعاتهم ودولهم، تاركين أهالى وعائلاتٍ ومنازل وأحياء أخرى، ومنهم صلاح عبد السلام، الذى كان ماجناً ومدمناً لشرب الخمور، حيث كان نموذجًا لهؤلاء الضحايا الذين يمكن عبرهم الاقتراب من بعض بسيكولوجيا التنظيم، ولم يكن قد مضت أشهر قليلة على التزامه الديني، قرر عمل مجموعة إرهابية للانتقام من المجتمع الأوربى الذى تلقى فيه تعليمه، وكانت الأحزمة العشوائية لمدينة باريس وبروكسل هى التى تولى من خلالها التمويل والتجنيد.

الخلاصة، أن هناك نتيجة مفادها، أن التنظيمات تحارب اليوم باعتمادها على أشكال من التعاون الإنساني، والصداقة، والعشائرية، والقرابة، أكثر من اعتمادها على التنظيم عبر الفضاء الإلكترونى، والترتيبات الهيكلية الأخرى.

الاستفادة من السيولة

أشكال من التعاون الإنساني، والصداقة، والعشائرية، والقرابة، ظهرت بوضوح فى منفذى حادث باريس، ومنهم إسماعيل عمر مصطفوي، فرنسى من أصول جزائرية، وبعد أن تأكد المدعى العام الفرنسى أن بلجيكا كانت محطة للإرهابيين، ومورد للأسلحة الكلاشينكوف، التى استخدمت فى العمل الإرهابى، تبين أن داعش استخدمت خلايا نائمة من الأجيال الثانية أو الثالثة المقيمة بفرنسا، التى انتمت إلى التنظيم.

العملية الإرهابية تم خلالها استعمال الأحزمة الناسفة فى ملعب فرنسا، وأسلحة كلاشينكوف، و٣ سيارات، واثنين من الانتحاريين، و٦ انغماسيين، ومن حيث الإعداد المادى، إضافة إلى توفير الإقامة والتدريب، ومهام الرصد، واختيار الأهداف والتوقيت، استعانوا بفرنسيين، وهو ماستوجب عدة أشهر من التحضير.

بالوقوف عند الأهداف التى اختارها الإرهابيون، فإنهم اختاروا أماكن تتميز بكثافة تواجد الناس بها بغرض تحقيق أكبر عدد من الضحايا، مثل ملعب فرنسا الذى كان به ٨٠ ألف متفرج، وقاعة العرض باتاكلان، التى كان بها ١٥٠٠ متفرج، وهى فضاءات مغلقة لا يمكن الهروب منها، كما أحكموا اختيار التوقيت وهو مساء يوم الجمعة الذى يسبق عطلة نهاية الأسبوع بفرنسا، ويستغلها الفرنسيون لارتياد المتاجر والسهر، وخلال ليلة تدار فيها مقابلة كرة قدم هامة للمنتخبين الفرنسى والألمانى، والتى تستنفر لها قوات الأمن

الفرنسية فى عملية حفظ الأمن والنظام، وبذلك تكون مجهودات هذه المصالح الأمنية مشتتة، ومركزة بالخصوص على المقابلة الرياضية، كما أن تعدد الأماكن المستهدفة ٦ مواقع سيمكن بدوره من تشتيت القوة الأمنية عند التدخل.

اتضح من خلال هذه العملية البشعة أن بلجيكا أصبحت قاسماً مشتركاً فى كل العمليات الإرهابية التى تمت فى فرنسا مؤخراً، فالأسلحة التى استخدمها الأخوين كوليبالى فى مطعم بباريس جاءت من بلجيكا، وحتى قتلة اغتيال أحمد شاه مسعود عام ٢٠٠١ كانوا يحملون جوازات سفر بلجيكية، وفى الحادث الأخير، حملت السيارات أرقاماً بلجيكية، وحمل الانغماسيون أسلحة جاءت من بلجيكا!!.

تفيد الأرقام الرسمية أن ٣٣٥ بلجيكيا غادروا للقتال فى سوريا، و١٨٤ لا يزالون هناك، و٥٠ قتلوا، و١٠١ عادوا إلى بروكسل، وهو عدد كبير لبلد يبلغ عدد سكانه ١١ مليون نسمة.

كما اتضح أن الجيل الثانى والثالث من المهاجرين ومنهم اسماعيل عمر مصطفوي، الذين عاشوا فى فرنسا وفى مجتمعات أكثر رحابة وحرية وديمقراطية، هم الذين كانوا أكثر عرضة للانضمام لداعش.

عند النظر بإمعان إلى قصص العشرات من الأوربيين الذين قضوا مع داعش نجد أن غالبيتهم ولدوا ونشأوا بأوربا، ولا تتجاوز نسبة المتحولين للإسلام منهم أكثر من ٢٠٪، لكنهم كانوا الأخطر، رغم سجلاتهم البيضاء.

يمكننا بكل رحابة أن نطلق على هؤلاء اسم «الإرهابى السائل»، وهو الشخص الذى يحتاج إلى تحليل نفسي، كيف أنه خرج من بيته بعد أن توضأ وصلى ركعتين، لبس حزامًا ناسفًا، ودعا الله بالتوفيق والسداد، ثم ذهب إلى مواطنين كان يتعامل معهم بالأمس وعلى وجهه ابتسامة، ففجر نفسه فقتل نفسه وقتلهم، كيف اقتنع أن هذا جهاد، وأنه سيموت شهيداً؟ فبأى أدلة

شرعية جرى غسيل مخه؟ وهل قرأ كتاباً آخر غير كتاب الله الذى نعرفه؟

الإرهابى السائل، يختلف ضمناً عن الإرهابى المتجول الذى يحمل معتقداته وأفكاره ليفجر بها أى مكان فى العالم، أما الأول فهو الكامن الذى مثل إعلان الخلافة من قبل داعش إلى انتهاء العملية الجهادية لديه، وإلى سعيه أن يكون جندياً بها، وهو الهدف الذى يسعى معظم المتطرفين حول العالم إلى تحقيقه.

مثل البعد الطائفى للصراعات الراهنة ومن خلال تركيز تنظيم داعش على تعبئة وشحن الحالة الطائفية وتصوير العمليات الإرهابية للتنظيم بأنها موجهة لنصرة أهل السنة إلى تجنيد عدد غير قليل من الإرهابيين السائلين، وساعد النظام المهترئ العالمى غير المتماسك، والحرب السوريّة، والفوضى العراقية، والأزمة الليبية، على صناعة فراغات استراتيجية تمدد خلالها داعش، وعبرت خلالها الفوضى المنظمة، لتحاول أن تهد الأنظمة السياسية السائدة.

يتبقى أن نقول إن هذه الظاهرة تحتاج إلى مواجهة مدروسة بعيدا عن التشدد الأمنى فقط الذى ربما زاد من استفحال الظاهرة وخلق ردوداً عكسية.

المطلوب وضع خطط توعوية قادرة على إيصال الرسالة الصحيحة للإسلام بموضوعية تنطلق من أسس الدين القويم ومبادئ الأخلاق والإنسانية العالمية، ولابد من الاستعانة بفريق من المتخصص لتفنيد وفضح ممارسات هذه التنظيمات.

أشير إلى نقطة هامة إلى أن دعاوى التجديد لو لم تكن منضبطة فإنها تأتى أيضاً بردود فعل معكوسة، خاصة فى هذه الفوضى السائدة فى مسالة تجديد الخطاب الدينى دون خطة واضحة، مما يؤدى إلى فعل عكسى وهو ظهور جماعات متعددة من الدعاة إلى الانتحار والانغماس باسم مقاصد الدين، والذباحين باسم الجهاد المتطور، والملتحفين بالبارود باسم التقليد.

فى الختام، حادث فرنسا أعطانا مثلاً من عينات «الإرهابى السائل»، فلا يقولن أحد إنها مؤامرة مخابراتية، فالفكر إسلامى، والوقود البشرى إسلامى، والأموال المصروفة لتشكيل داعش وإرهابيها أموال إسلامية.

obeikan.com

استخدام قتلة تحت السن

لم يكن الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعلم وهو يكتب إلى أهل الشام – بحسب الروايات التاريخية – ليقول لهم «علموا أولادكم السباحة والرماية ورووهم ما جمل من الشعر» أن المحدثين من أبناء الشام وتحديدا تنظيم داعش سوف يعلمون أبناءهم الرماية وجز الرقاب وإرهاب الآمنين، والعجيب أن تتم كل هذه الجرائم باسم الدين والجهاد.

نعم، فداعش وقياداتها يحرصون فى الفترة الأخيرة على اصطحاب أطفالهم لمشاهدة عمليات قطع الرؤوس، وحثهم على حمل الرؤوس والتقاط صور معها، وتجنيد أطفال تحت السن وتحويلهم، إلى قتلة محترفين، وهذا ما ثبت فى العمليات الانتحارية الأخيرة، التى قام بها أطفال دون الـ١٦ عاماً.

يقول أحد قيادى داعش فى مدينة الرقة فى سوريا، والمكنى «أبوموسى»، من خلال فيديو له، والمسؤول عن الإشراف على الأطفال: «بالنسبة إلينا نؤمن أن هذا الجيل من الأطفال هو جيل الخلافة.. وهو الذى سيحارب المرتدين والكفار، وهؤلاء الأطفال كلهم زرعت فيهم العقيدة الصحيحة وكلهم يحبون أن يقاتلوا فى سبيل بناء دولة الإسلام».

وأطلقت داعش اسم، «أشبال العزّ» على معسكرات التدريب والقتال الخاصة بالأطفال المجندين، حيث يقسمون هناك الى ٣ فئات، الأولى تبدأ من عمر ٨ سنوات الى ١٢ سنة، والثانية تبدأ من ١٣ سنة الى ١٤ سنة، أما الثالثة فتبدأ من عمر ١٥ الى ١٦ سنة، ليتم إعدادهم ليكونوا من كوادر التنظيم.

فى معسكر خاص يقع فى مدينة الطبقة (تبعد ٥٥ كم عن مدينة الرقة باتجاه

الغرب ويقع فيها مطار الطبقة العسكري)، يتلقى الأحداث دروس العنف، لتتبدل حياتهم من البراءة إلى احتراف القتال، وتتحول أحلامهم من اللعب بالدمى إلى اللعب بالرؤوس المقطوعة، ومن حمل الحقائب المدرسية إلى حمل السلاح.

يخضع الطفل فى المعسكر إلى دورة شرعية مدتها ٤٥ يوما، ثم يخضع بعدها الطفل لدورة عسكرية تستمر أيضا ٣ أشهر، وبعد أن يتخرج الأطفال فى هذه المعسكرات، يتم تشكيلهم عسكريا من جديد لينخرطوا فى مجموعات قتالية، وغالبا ما يتم تجنيدهم كعناصر انتحارية أو جواسيس، بسبب قدرتهم على التنقل والتخفى ومعرفة الطرق على الأرض.

وقد جرى مؤخرا تخريج آخر دفعة وهى ١١٠ أطفال غالبيتهم لا تتجاوز أعمارهم ١٦ عامًا، ولم يتخرج كل منهم إلا بقطع رأس أحد الضحايا، ثم أوكلت إليهم مهام مثل التجسس على أهالى المدينة، ونقل الأخبار عنهم.

هناك معسكرات أخرى خاصة تقيمها «داعش» وتصور أنشطتها، يظهر فيها الأطفال الصغار وهم يطلقون النار على أهداف وهم يسيرون تحت راية سوداء، ويُطلق عليهم «أشبال الزرقاوي»، كما أن الأخبار تواترت عن إنشاء لواء باسم «طيور الجنة»، وهو الاسم ذاته لمجموعة إنشادية إسلامية خاصة بالأطفال.

من الأسباب التى جعلت داعش تنجح فى تجنيد الأطفال، هو اعتمادها على سياسة التجويع وإغراء الأهالى بإرسال أطفالهم مقابل المال، أى أن بعض الأطفال لا يذهب بإرادته، بل يدفع به من قبل أهله للذهاب نظير مقابل مادي، وتغييرها لمناهج الدراسة، حيث حذفت عددا من المواد وركزت على التعليم الديني، وإنشاء ما يسمى بـ «ديوان التعليم» ونجحت فى خلق أجيال جديدة وصاعدة من المتطرفين عن قناعة، وليس مجرد خوف من سلطة الإرهابيين

وسطوتهم، فبعد ساعات الدراسة النظرية فى أول النهار، يتم التفرغ للجانب العملي، حيث تخضع مجموعات كبيرة من الأطفال إلى حصص من التدريب العسكرى الشاق، كل بحسب تصنيفه وسنه والهدف من تجنيده، وبالطبع يتم توثيق هذه التدريبات الصباحية، وأخذ الصور مع الأطفال وهم يحملون أسلحة ثقيلة ترهق أكتافهم التى أرهقها العنف والخراب.

كما أن هناك أكثر من ١٢ ألف مدرسة تابعة لتنظيمات القاعدة و«داعش» بمختلف محافظات سوريا، وهو ما يعنى أن الأجيال الجديدة من الأطفال السوريين يعيشون حالة مسخ للهويّة وغسل للدماغ ستسبب مشكل أضخم للمنطقة فيما بعد.

ألغى تنظيم داعش من المناهج الدراسية المواد التالية بشكل نهائى (التربية الفنية الموسيقية، التربية الوطنية، دراسات اجتماعية، التاريخ، التربية الفنية التشكيلية، الرياضة، قضايا فلسفية واجتماعية ونفسية، التربية الدينية الإسلامية، التربية الدينية المسيحية، على أن تضاف مواد تعويضية لها، واهتم التنظيم بما وصفه بـ «المناهج الشرعية».

نشرت داعش «كتيب إرشادي» يشرح للأمهات كيفية تنشئة أطفالهن على الفكر الداعشي، جاء فيه تحت عنوان «دور الأخت فى الجهاد» «دعوة للأمهات لعرض المواقع الجهادية على الأطفال وقراءة قصص عن الجهاد عندما يخلدون للنوم، وتشجيعهم على ممارسة ألعاب رياضية، مثل الرماية، من أجل تحسين قدرتهم على التصويب».

فى النهاية فإن المغزى الأول من تجنيد الأطفال الآن، هو تحويلهم إلى وقود للعمليات الانتحارية، لأسباب كثيرة تعود إلى سهولة تجنيدهم وتحويلهم إلى كوادر يمكن الوثوق بها، إضافة إلى أن نقص معدلات الاستقطاب منذ بدايات الحرب على الإرهاب، ما أسهم فى البحث عن فئات جديدة للاستفادة

منها، على رأسها الأطفال والنساء، وحتى المختلين عقليًا، كما كان يحدث فى تفجيرات السيارات المفخخة فى العراق، التى اكتشف لاحقا أن منفذيها أشخاص لا يملكون قرارهم بسبب إصابتهم بالأمراض العقلية.

obeikan.com

صناعة خارطة الوهم

ينظر العالم أجمع إلى خارطة داعش الجغرافية على الأرض، لكنهم قد لا ينظرون إلى تلك الخارطة الأخرى الوهمية التى صنعها للعالم.

يتحدثون الآن عن قرب المعركة التى هى من فوق رأس داعش، ومن جانبه ومن أسفل منه، إلا أنهم لم يتحدثوا حتى اللحظة عن خريطة الوهم فى نفوس اتباعه.

من المؤكد وفق إحصاءات حقيقية أن داعش حصل فى عام ٢٠١٤ على حوالى ٥٨ ألف كيلو متر، وفى بداية عام ٢٠١٥ أكمل انتصاراته بالوصول إلى ريف حلب بسوريا، ومصفاة بيجى بالعراق، وفى بداية عام ٢٠١٦ فقد ثلث تلك المساحة مرة واحدة، لذا فهم يتحدثون عن قرب نهاية التنظيم.

هذه هى خرائط الجغرافيا السياسية للتنظيم، وهى تلك الجغرافيا السياسية (الجيبوليتكا) التى تعنى بدراسة ما يمكن أن تكون عليه الوحدة السياسية مستقبلاً، إلا أنها لا تتحدث ولا تعنى مطلقاً ما يمكن أن تكون عليه أفكار التنظيم أيضاً مستقبلاً.

خلق داعش جغرافيا وهمية فى الشبكات الإلكترونية، وبلغ المجال الحيوى لدولته ثلاثة أرباع الكرة الأرضية، فتحدث التنظيم عن أتباع له بالصين، وماليزيا وغيرها، كما تحدث عن خلاياه بأمريكا، واقترابه من إسرائيل، ووصوله لروما.

تعمد داعش أن يظهر فى حالة تماس سياسى مع دول لا تتماس معه فى حدوده الجغرافية على الأرض، مثل السعودية، واختار أهدافاً ذات طابع مذهبي، واستهدف مساجد للطائفة الشيعية.

لم يكن ما فعله التنظيم بالسعودية والكويت ومساجد الحوثيين باليمن عشوائياً مطلقاً، بل كل شيء كان محسوباً حسابه بدقة.

أصبح داعش له حضور طاغ، وأصبحت خريطته الإلكترونية الدعائية قد بلغت مبلغاً عظيماً، مما أدى إلى أنه صنع شرخًا لدى عناصر القاعدة، والجهاديين الآخرين، حتى أن فرع القاعدة الأكبر باليمن وقعت به خلافات بين القيادات المتوسطة فى التنظيم لأنها ترغب فى الاندماج مع «داعش».

أصر أتباع داعش أن ينشروا الفيديوهات التى تصورهم وهم يهدمون الحدود بين سوريا والعراق، كما أصروا فى ذات التوقيت أن ينشروا فيديو لإعدام سوريين تحت عجلات الدبابات، وشوى عراقيين بالنيران، وبإغراق بعضهم فى نهر الفرات، وفى هذا التوقيت توسعت خارطة داعش وبلغت المدى، وبينما كان الظواهرى يعانى عزلة فى جبال أفغانستان، كان البغدادى يخطب بالموصل، والعدنانى يوجه رسائله إلى أوربا، والقيادى شاكر وهيب يستعرض فى الفيديوهات أعماله القتالية، كأنه فى نزهة خلوية.

أطلق داعش على أتباعه (ولايات) ووزع البغدادى الإمارة هنا وهناك، وأطلق خرائط مجانية على مواقعه المقربة، لولاية سيناء ونجد والفرات وغيرها، بل وغير الأسماء وأطلق أخرى كولاية الخبر بالعراق، ووصلت به الجرأة أن يطلق اسم ولاية على عناصره بموسكو، ومجموعاته الكامنة بأمريكا.

عن معاركه بالفلوجة، قال التنظيم إنه يقاتل بـ٥٠٠ فقط، بينهم ١٥٠ انتحارياً، ورغم ذلك فهو ينتصر، وسيقوم بحركة التفاف ليجبر المرتدين على التوقف!!.

كان من الواضح من خلال الإصدار أن التنظيم يتألم، لقد ظهرت النبرة التى كانوا حريصين على عدم إظهارها من قبل، وهى أنهم من الممكن أن يفقدوا الأراضى، لكنهم لن يفقدوا أنفسهم، وسيظلون باقين، وستظل أذرعهم تواجه الأعداء.

داعش يوحى دائماً أن الخرائط الأرضية لا تشغله كثيراً، فلديه خرائطه الخاصة، وإرث خاص من حقبة بن لادن، وأبى مصعب الزرقاوي، ونستولوجيا تاريخية لدولة الخلافة العباسية والعثمانية.

خرائط داعش الإعلامية والفكرية مختلفة دائماً، ووفق الباحث الروسى فى مركز كارنيجى أليكسى مالاشينكو، فإن داعش يشبه كرة مطاطية ما إن تقذف بها فى أى جدار، لا تلبث أن ترتد إليك مرة أخرى، وكلما دفعتها بقوة إلى الحائط، ارتدت إليك بقوة أيضا، وفق قانون نيوتن الثالث (كل فعل له رد فعل مساو له فى القوة ومضاد له فى الاتجاه). ما يعنى ببساطة أن هناك عملية تجريد له، وأن التعامل مع هذا التنظيم السرطانى الإرهابى يجرى وفق إجراءات يغلب عليها الطابع النظرى والتنظيري، إلى جانب التواطؤات العديدة من أطراف بعينها، تظهر بأشكال وبحجج متنوعة ومثيرة للدهشة والسخرية.

تصدير الخوف

بينما داعش تواصل إصدارات «دابق»، حرصت القاعدة على إصدار «انسباير»، كما أصدر العدد الأول من نشرة «إرشادات إنسباير»، باللغتين العربية والإنجليزية، تحت اسم «عملية أورلاندو»، احتفالًا بعملية إطلاق النار التى شنها مواطن أمريكى بايع تنظيم داعش على ملهى للمثليين بالولايات المتحدة، التى أودت بحياة نحو ٥٠ شخصًا وأصابت ٥٣ آخرين.

لفت انتباهى فى إرشادات إنسباير، أن الفريق الذى أعد العدد، هو ما يسمى ''فريق التوجيه للجهاد الفردي''، وهو فريق متخصص فقط فى تقديم إرشادات للذئاب الفردية.

قال الفريق، إنه أعد النشرة بعد عملية أورلاندو، إلا أنه لم يعلن عنها إلا يوم الخميس الماضى، من أجل عمليات الجهاد الفردى، الذى أرجعه الفريق إلى أسامة بن لادن.

رأت النشرة ضرورة الحرب الفردية من أجل تحقيق مصلحة الأمة الكبرى، ووفق رأيها، فإن مثل هذه العمليات، تؤدى إلى الضغط على الغرب، لتغيير سياسته ضد المسلمين فى كل مكان.

نعود إلى النشرة، فقد باركت عملية إطلاق النار وطريقة عمر متين فى تنفيذها، وقالت: «ندعم ونؤيد كل مسلم يغزو أمريكا فى عقر دارها، أيًا كان انتماؤه وولاؤه، ونقول إن الجهاد الفردى ليس حكرًا على تنظيم القاعدة ولا غيره من الجماعات»، موجهة الدعوة إلى جميع الفصائل الجهادية لاستخدام العمليات الفردية ودعمها، وإلى كل مسلم فى الغرب أو قادر على السفر إليه

بتنفيذ عمليات مشابهة.

الغريب أنه للمرة الأولى، وجهت القاعدة الدعوة إلى غير المسلمين أيضًا لشن عمليات فردية ضد الولايات المتحدة، وقالت: «ندعو كل من اعتدت عليه أمريكا مسلمًا كان أو غير مسلم إلى أن يأخذ حقه بأى وسيلة شرعية من هذه الدولة الظالمة المعتدية».

ذكرت النشرة على لسان تنظيم القاعدة، أن من أسباب نجاح هجوم أورلاندو، اختيار وقت متأخر من الليل لاستهداف أشخاص فى حالة سُكر، غير مدركين لما يحدث، وذلك المكان المغلق الذى سهل حصارهم فيه، فضلًا عن تدرب متين على السلاح النارى لعمله فى شركة أمنية سابقًا، واستخدامه كوسيلة متاحة بدلًا من البحث عن وسيلة أكثر فتكًا بما قد يؤخر تنفيذ العملية، معتبرة أن احتجاز متين للرهائن بعد قتل ٥٠ شخصًا «أطال أمد المعركة» وأوصل رسالته بشكل أفضل.

أخذ تنظيم القاعدة على العملية استهداف طائفة معينة، وهى المثليين، واعتبر أن ذلك جعل أهداف الهجوم تنحرف جزئيًا إلى قضية فرعية، كما رأى أن العمليات الفردية يجب أن تتجنب استهداف تجمعات الأقليات، نظرًا لأن معظم المتواجدين بالملهى كانوا من أصول لاتينية، ودعت إلى استهداف تجمعات المواطنين الأصليين لأنهم الحاكمين الفعليين للبلاد، كذلك دعت إلى تنفيذ العمليات المماثلة لهجوم أورلاندو بدمج المزيد من الأساليب البسيطة، مثل استخدام عبوات ناسفة بدائية لإسقاط أكبر عدد ممكن من الضحايا.

ختمت النشرة بقولها: «عجزت الحكومة الأميركية عن حماية مواطنيها من قنابل وعاء الضغط الموضوعة فى حقائب الظهر.. وإننا لنسأل إن كانت جاهزة لمنع تفجير السيارات الملغومة، والقنابل «المفتوحة المصدر» للسماح للراغبين فى القتال «بالاستعداد للقتال» من داخل أجواء المنزل.

النشرة التى استعرضت طرق تفجير مختلفة، تجعلك خائفاً جدًا، وتوجه رسالة مضمونها هو الخوف إلى الغرب، وهى بلا شك تتنافس مع دابق داعش، فى توصيل ذات الرسالة.

مما يلفت هو أن القاعدة تحتفى بعملية أورلاندو رغم أن منفذها أعلن قبل تنفيذها بيعته لداعش، مما يشير إلى أن كلا التنظيمين يسيران فى بوتقة واحدة.

تؤكد نشرة انسباير، أن عمليات الذئاب المنفردة، لم تعد ظاهرة طارئة، بل هى نهج لكل من القاعدة وداعش، والأرجح أن ما يسمى بالجهاد الفردي، هو الوريث الشرعى لـ«داعش» بعد سقوطها فى مركزها.

openkan.com

الانتشار عبر الفروع

الانتشار عبر الفروع، وخلق بؤر صراع جديدة، هو استراتيجية قرينة لاستخدام الذئاب المتوحدة، وفى الأشهر الماضية أثبت داعش وجودها فى مناطق بالعالم ومنها آسيا بعمليات إرهابية دموية، خلفت مئات القتلى والجرحى، أولها فى مطعم الحى الدبلوماسى ببنجلاديش، وثانيها التى نفذتها أكناف بيت المقدس بغزة، وثالثها فى بغداد، وهى العملية التى خلفت ٨٢ قتيلاً من الأهالي، وحوالى ٣٠٠ جريح، فى منطقة الكرادة، وسوق الشعب، بعد استهداف التنظيم لتجمع العوائل عند محلات الملابس استعدادًا للعيد، فى نفس التوقيت الذى ظهر فيه لأول مرة الملا هبة الله زعيم طالبان الجديد، مهددًا فيه الولايات المتحدة بشن حرب شاملة على مصالحها فى المنطقة.

فى الحقيقة داعش اعتمد على الاستراتيجية التى أطلق عليها «الانتشار عبر الفروع" مركزًا على آسيا، مستغلا الأوضاع السائدة فى أكثر من بلد فيها، من خلافات وانقسامات قومية ودينية، وطائفية وعرقية، ومستفيدًا من خواء السيطرة الأمنية، أو ضعفها فى أكثر من دولة، ومنها أفغانستان، على سبيل المثال لا الحصر.

الأسباب التى جعلت قوة داعش تتعاظم فى آسيا متنوعة ومنها: اعتماده على محطات من الجماعات القريبة منه فكريًا مثل أكناف بيت المقدس، وجماعة أنصار الإسلام، وجماعة المجاهدين فى بنجلاديش، والثانى هو عودة حملة الجنسيات الأجنبية الذين يتمتعون بحرية التنقل، إلى بلادهم، ومنها طاجيكستان وأوزبكستان والشيشان، دون وجود خارطة تفصيلية دقيقة عنهم، بعد أن بدأ التنظيم يفقد معاقله الأساسية فى سوريا والعراق، كان مصرًا على نسخ تجربته فى

مناطق أخرى، لاسيما وسط آسيا، وتحديدًا باكستان وأفغانستان والجمهوريات السوفيتية السابقة.

كما يستغل التنظيم مشاكل الأقليات الإسلامية فى القارة برمتها للتحريض على رد الفعل، إما من خلال تنظيمات محلية أو من خلال ما يسمى بالذئاب المنفردة، التى تتحرك بشكل معزول، فيما يلعب أيضا على التناقضات التى يجدها فى عدد من المجتمعات وسط وشرق آسيا كى يجند أتباعا له ويوسع انتشاره الجغرافى.

استغل التنظيم بعض الشخصيات الجهادية المؤثرة فى منطقة جنوب شرق آسيا للاعتماد عليها فى تجنيد عناصر جديدة، مثل محمد على تامباكو، وعثمان باسط عثمان فى الفلبين، إضافة إلى بحرون نعيم الذى ساهم فى تمدد التنظيم بشكل ملحوظ فى إندونيسيا.

استفاد التنظيم، أيضا من تراجع دور تنظيم القاعدة، لا سيما فى أفغانستان وباكستان، حيث أعلن عن إنشاء ولاية خراسان، وبايعه قادة منشقون عن حركتى طالبان باكستان وطالبان أفغانستان.

وتأتى العمليات الإرهابية الضخمة من التنظيم، وتحديداً فى منطقة وسط آسيا، بهدف الدعاية والترويج، ولعل هجوم العاصمة البنغالية دكا، جاء فى هذا السياق.

نأتى للنقطة الأهم، وهى أن الآلية الحقيقية التى دفعت التنظيم للانتقال إلى آسيا، وإلى وجود خطر حقيقى مستقبلى فى هذه المنطقة، هو أن مواجهة داعش فى الشهور الأخيرة، أثبتت أن الرؤية كلها خاطئة، حيث إنها اختلفت بين بعض الدول المعنية بالمواجهة المباشرة مع التنظيم، وأثبتت أن هناك فارقًا بين المواجهة بغرض الاستئصال النهائى وإزاحة الخطر، وبين المواجهة بغرض الاستغلال السياسى وخلق فزاعة لجنى مكاسب سياسية، وهذا هو جوهر الاختلاف بين

الاستراتيجية الأمريكية أو المصرية، أو العراقية أيضًا، على سبيل المثال.

التنظيم وجد نفسه فى مواجهة سياسات مختلفة، ومختلة أحيانًا، ووجد البغدادى نفسه، كحلقة من حلقات الصراع بين واشنطن وحلفائها، كما وجد أنه يمكن أن يوظف ما يحصل للبقاء لأطول فترة ممكنة، هذا ما حصل بالضبط، لذا جاء التمدد الآسيوى كحلقة من حلقات إعادة الحياة للتنظيم من جديد فى مناطق أخرى، هى أبعد عن أمريكا، لكنها أقرب إلى روسيا العدو الاستراتيجى.

obeikan.com

التحول إلى الذئب

وقعت أوربا تحت قصف الذئاب المنفردة، هذه حقيقة لا مجال للتشكيك فيها، سواء كان المسؤول عن العمليات المسلحة فى أوربا داعشيًا، أو مختلاً عقليًا.

الملاحظ أن أغلب الحوادث فى ألمانيا وقعت من لاجئين، فى نفس التوقيت الذى كانت تتحدث فيه تقارير غربية عن اختراق داعشى لأوربا عن طريق المقبلين من سوريا.

كما تحدثت تقارير أخرى عن اختراق أوربا بعملية تركية منظمة، وتحدثت عن ذلك وثائق ويكليكس، التى نشرت مراسلات حزب العدالة والتنمية مع داعش، وكيفية استغلال أردوغان التنظيم لتهديد العراقيين، للوقوف فى وجه حزب العمال الكردستانى مقابل وقف تدفق الإرهابيين إلى العراق، ومحاصرتهم، وقطع إمدادات السلاح والرجال التى يحصلون عليها عبر تركيا.

الملاحظ أن الشرطة الألمانية حاولت بشكل ما تخفيف حدة ما يجرى بألمانيا، وعزوه إلى مختلين عقليًا، أو لاجئين لهم مشاكل نفسية، وقد يكون ذلك لسبب مهم، وهو إما بالفعل هذه هى الحقيقة، أو أن هناك خلية تتحرك بحرية، وتريد ألمانيا السيطرة عليها، وعدم إعطاء أى تصريحات أو تلميحات بشأنها حتى توقيفها.

الملاحظة الأخرى، أن عناصر داعش، رحبوا بما يجرى فى ألمانيا على وجه الخصوص، مشيرين إلى نجاحهم فى التوغل لدولة قوية بحجمها، ورغم صدور مثل هذا الترحيب على صفحات التنظيم الخاصة بـ(تليجرام) مثل

السراج المنير، وصلاح الدين، وغيرها، إلا أنه لا يرقى لمستوى إعلان المسؤولية عن أعمال الذئاب المتوحدة بأوربا.

الملاحظة الأخيرة، وهى أنه فى عام ٢٠١٦ فقط، قتل فى أوروبا أكثر من ١٥١ شخصا نتيجة الإرهاب، فيما أصيب ٣٥٠ آخرون، وفق تقرير لـ«اليوروبول» حول تطور الإرهاب فى أوروبا، علما بأن التقرير لا يشمل هجمات بروكسل ونيس.

كما أنه وفق ذات التقرير فإن تنظيم داعش استقبل خلال الشهرين الماضيين فقط ١٨٠ عنصرًا، ٤٠ فى المئة منهم أوربيون، وأنه تم تجنيد أغلبهم عبر مواقع التواصل الاجتماعى.

فى الحقيقة أنا أميل إلى أن التنظيم بالفعل استطاع اختراق أوربا، عبر اللاجئين، أو عبر طبقة المجاهدين الأجانب الذين عادوا لبلدانهم، أو عبر التواصل الاجتماعي، وأنه كامن إلى حد ما، من أجل الحفاظ على مستوى عملياته، ومن أجل الاستمرار لأطول فترة ممكنة، لذا فهو لم يبدأ بعد جل عملياته، لأنه يريد إثبات أنه ما زال قادرا على توجيه الضربات، والذئاب المنفردة ستكون عاملاً مهماً فى عملياته المقبلة، لأنها تنجيه من تلك الأعباء الخططية فى تحرك خلاياه.

فى الحقيقة فإن الجميع وقع فى شراك الإعلام الألماني، الذى تحدث عن هجوم لمختلين عقليًا، أو لاجئين تعرضوا لضغوط نفسية، رغم أن ما جرى فى النهاية هو إرهاب مؤكد لذئاب منفردة، ولا يهم بعد إن كان تابعاً لداعش أم للنازيين الجدد، وأوربا بالكامل وقعت تحت طائلة الذئاب المنفردة، سواء هم تابعون لداعش أو غيرها، لأنه من الملاحظ ان هناك محاكاة للتنظيم، فى منهجه وسلوكه فى العمل المسلح، وهذه هى الخطورة الحقيقية التى يصعب السيطرة عليها.

الحوادث الإرهابية كذلك التى وقعت مؤخراً فى فرنسا وأمريكا، من قبل بعض الذئاب المنفردة التابعة لداعش، قام بها أشخاص، مثل عمر صديق متين، منفذ هجوم أورولاندو بولاية فلوريدا، مسلمون، لكنهم ولدوا فى أوربا وأمريكا، وتلقوا تعليمهم بداخل هذه الدول، ومن ثم تكونت شخصياتهم داخل الحواضن الغربية، إلا أن التنظيم استطاع أن يحركهم بفعل جاذبيته الأيديولوجية، وجعلهم يثيرون الرعب.

تدل تلك الحوادث على أن (ما بعد داعش) هو تفسير خاطئ لحالة (تنظيم الدولة)، وإنما يعبر فقط عن أمنيات شخصية لزوال التنظيم، الذى توجد مسببات وأسباب بقائه لفترة طويلة مقبلة، وللعلم فهو كان موجوداً منذ ٢٠٠٣، وفقد الأرض عام ٢٠٠٦، وتم قتل زعيمه أبو عمر البغدادي، وحصل على الأرض مرة أخرى، وقد يفقدها وفق العدناني، إلا أنه سيبقى، ويتحول من فوق السطح إلى تحت الأرض من جديد، أو يتشظى، كخلايا ومجموعات وشظايا، فيتكور، ويتخلق بأشكال جديدة.

الشكل الأخير، وهو الذئب المنفرد، اعتمد عليه داعش مؤخرًا، ونجح فيه إلى حد كبير، وقد أصدر التنظيم رسالة اسمها استراتيجية الذئب المنفرد، كتبها أبو أنس الأندلسي، منذ أيام، أكد فيها على دعوته لعناصره الكامنة بتنفيذ عمليات متنوعة ومتعددة، طالما أن التحالف الغربى يقصف أماكن يسيطرون عليها.

ومما بدا فى الرسالة، أن خصائص الذئب المنفرد هى عنصر المفاجأة فى تنفيذ العمليات الإرهابية، وعدم وجود سجل يثبت الانتماء مطلقاً، وعدم الارتباط الفعلى والمباشر مع التنظيم والجماعة الإرهابية.

كما أن من أهم الخصائص الحرية فى تحديد الهدف والزمان والمكان لتنفيذ العمليات، وكذلك تنوع السلاح المستخدم فى تنفيذ العمليات حسب

الإمكانات لدى المنفذ وبتمويل ذاتى.

للذئب المنفرد مجموعة من السمات أهمها، أنه يتحول بشكل مفاجئ إلى الأيديولوجية الإرهابية، ويتعاطى مع طريقة وتفكير التنظيمات التكفيرية بشكل متعجل.

يتشدد الذئب المنفرد بشكل طارئ فى قضية الحلال والحرام، خصوصا المسائل الخلافية منها، فضلاً عن أنه يستغرق أوقات طويلة على شبكة الإنترنت، ووسائل التواصل بطريقة انزوائية لم تعهد له من قبل.

لا يعتد الذئب المنفرد بأقوال وفتاوى العلماء الكبار، بل وينتقص من مكانتهم العلمية والشخصية، ويهتم أكثر بفتاوى شرعيى التنظيم كالبنعلى والبرقاوى وغيرهم.

يبدو من تلك الصفات، ومن العمليات أيضًا أن الذئاب المنفردة غير متوازنين نفسيًا، ولديهم حالة واضحة من الخلل فى شخصياتهم، مثل الميل للانعزالية والبعد عن الأهل والأصدقاء، وتغير العلاقة معهم بشكل مفاجئ، كما لديهم فراغ فكرى كبير يهيئهم لقبول أى فكر يطرح عليهم.

وفق المذكرة الداعشية للذئاب المنفردة، فإن عمليات الذئب لها انتشارها الجغرافى الكبير، من أستراليا إلى أمريكا، وتنامى الفكر الجهادى التكفيرى بين أبناء المسلمين فى الغرب، وانتقالهم من مرحلة القول للفعل.

أغلب العمليات نفذت بأسلحة نارية: مسدسات، بنادق، وعدم الاهتمام بعملية التخطيط للهروب، باستثناء ما أطلقوا عليه غزوات سوسة، ومتحف بردو.

التنظيم دعا للإكثار من عمليات الذئاب المنفردة، لتكون أكثر تنظيمًا وإثخانًا على العلمانيين، وفق قولهم، مطالبًا بإصدار بطاقات تعريفية وتصاميم

وصور لتاريخ وبطولات الذئاب، وإصدار ملخصات سهلة عن طرق استخدام الأسلحة وتصنيع المتفجرات، مع ترجمتها للغات العالمية، وتشجيع أنصار التنظيم للقيام بعمليات النكاية.

وفق بعض الإحصائيات فإن الأجانب بداعش حوالى ١٢ ألف مقاتل، والتنظيم عبارة عن طبقات، عراقيين، وعرب، وأجانب، وجيل جديد من الأطفال تم تنشئته على أيديولوجية التنظيم، قولوا لى أين سيذهب هؤلاء؟ هل سيتم التخلص منهم جميعاً مرة واحدة؟ هل سيسمح الغرب بعودتهم إلى أوربا وأمريكا؟ كيف سيتم احتواؤهم؟!! ماذا لو عادوا للغرب، وأغلبهم ليس لهم سجلات أمنية؟ إنها مرحلة داعشية جديدة، واستراتيجية الذئب، التى لها شكل وعمليات مختلفة.

obeikan.com

تصنيع الانتحاري

رغم مرور عامين تقريباً، لا تزال صورة الشاب محمد حمدان السواركة، الشهير بأبى هاجر، وهو يودع رفقائه فى تنظيم بيت المقدس، قبل أن يفجر نفسه فى مديرية أمن جنوب سيناء عالقة بذهني، كان يبتسم، يضحك بملء فيه، يحضن أصدقائه ويربت على أكتافهم، وكأنه يقول لهم: أكملوا الطريق.. هى نفس الصورة تقريباً التى تكررت مع الضابط السابق بالقوات المسلحة وليد بدر، الذى ودع أهله فى رسالة مسجلة، مؤكداً أنه ترك أولاده الصغار الذين يحبهم، ليفجر نفسه فى موكب وزير الداخلية السابق محمد إبراهيم، حتى يذوق ريح الجنة.

ذكرتنى الصورة بمحمود عبدالحميد، أمير الجماعة الإسلامية السابق بمدينة ملوى، ومسؤول اللجنة العلمية للجماعة بالمنيا، كان شاباً مؤدباً ونجيباً، لا يتحدث سوى العربية الفصحى، دائم القعود فى المسجد، فجأة تحول إلى انتحارى، قتل نفسه ولم أكن أتصور أن هذا الشاب الذى لا يكف عن الصلاة والصيام والعبادة، سيفعلها فى يوم من الأيام، وفى قرية أولاد شحاتة، بمدينة مطاى بالمنيا، جرى وراءه عدد من المواطنين ليقبضوا عليه ويسلموه إلى الأمن، وفجأة أخرج مسدسه، ورفض إطلاق النيران عليهم، بل أطلقها على رأسه، حتى لا يقع فى أيدى الشرطة!!

عشرات، بل مئات من الفتيان والفتيات يفجرون أنفسهم، ينتحرون وهم يبتسمون، يتحولون إلى أشلاء، والسؤال يتكرر كيف يتحول شاب فى لحظات إلى انتحارى؟ كيف تصبح فتاة قنبلة انشطارية؟ وكيف يتحول طفل برىء إلى صاروخ؟

لماذا ينتحرون؟

الإجابة ليست صعبة، ولا توجد بها فلسفة، ولا تخضع لتأويلات، وشروح كثيرة، وهى بكل وضوح، التنويم المغناطيسى للعضو المستهدف، وهو تنويم تقوم به كل الجماعات العاملة فى حقل الإسلام السياسى بلا استثناء، بأن الإسلام الحقيقى غاب عن واقع المسلمين، وأن الدين لم يعد يوجه سلوك الناس أو حياتهم سوى فى النذر اليسير، وأن الإسلام الموجود فى المجتمع هو إسلام بعيد عن الحقيقى الذى يحتاج إلى من يجسده فى الواقع ليقترب من الصورة الذهنية التاريخية له، والمحصورة فقط فى مرحلة النبوة والخلافة الراشدة.

وتحتكر الفترة الأولى الراشدة، الصورة الذهنية كاملة لدى العضو الانتحاري، حتى فترة عبد الله بن الزبير، أو حتى فى التجربة العامة للمسلمين فى الحكم على ما هو معلوم منها حتى سقوط الخلافة العثمانية فى العام ١٩٢٤، لا يوجد منها أى صورة لديه، فهى مشوشة ومهزوزة.

ويبدأ التنظيم فى طباعة عقل العضو أن الخلافة أمر واجب، وأن السعى إليه أوجب، وأن التنظيم من الواجبات، والسمع والطاعة شرط لا يجوز التقصير فيه، وأن المعركة بين الإسلام وأعدائه هى فى الأصل معركة عقائدية حول التوحيد، أو حول لمن يكون الحكم والسلطان، لمنهج الله ولشرعه أو للمناهج الأرضية والمبادئ المادية أو لمدعى الوساطة بين الخالق وخلقه، وما دامت الجاهلية عمّت فلابد أن يكون هناك محاولات لإعادة الإسلام، وهذا ما يتصور العضو نفسه يفعله، لذا فهو يستلهم فقه السيرة الحركي، باعتباره يواجه نفس ما واجهه سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم فى رحلة نشر الدين، ويتصور أن المعركة التى يخوضها هى «غزوة بدر»، وإن تعرض لفتنة ومحنة، فهى ابتلاء من رب العالمين، حتى لو كانوا ما يقوم به فى مجتمع مسلم، تدين الأغلبية فيه بالإسلام، لأن هذا التدين والإسلام ليس الذى يدعو له التنظيم.

يقول أيمن الظواهرى، فى كتابه «ريح الجنة.. وجوب إتلاف النفس فى سبيل الله»: فمن ألقى بنفسه فى الهلاك لصالح دينه أو لصالح المسلمين فقد فدى دينه وإخوانه بنفسه وذلك غاية التضحية وأعلاها، وكم للمسلمين الأوائل من مواقف مشهودة كلها تضحيةٌ وفداء، وبذلك تستطيع أن تجيز ما يفعله الفدائى المسلم فى عصرنا هذا من أعمال يذهب هو ضحيتها، بعد أن يكون قد نكل بالعدو وقتل ودمر وذلك مثل: إغراق سفينة بمن فيها من الأعداء وهو معهم، أو احتلال فندق لقتل من فيه من المقاتلين وهو يعلم أنه يقتل معهم، أو وضع متفجرات فى معسكر، أو فى مصنع حربي، أو فى إدارة عسكرية للقضاء على من فيها، وهو يعلم أنه لا نجاة له، إلى آخر مثل هذه الأمور.

يتصور العضو أن إعادة الخلافة الإسلامية هى قوام هدفه وغايته الكبرى، وأنه يجب عليه التضحية بكل غال ونفيس من أجل ذلك، بل من أجل التنظيم الذى يجب عليه أن يفديه بروحه، لينشئ ما أسماه المودودى حكومة إسلامية.

هنا يأتى دور المكافأة التى يسعى إليها الانتحاري، وهى لا بد أن تكون شيئا أكبر بكثير مما يستطيع أن يحققه فى حياته.. إنها الجنة، التى يكون فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وهى أعظم وأبقى من الحياة الدنيا، فيذهب إليها مختاراً طامعاً، وهو يبتسم.

هذه هى البرمجة التى يبرمج بها عقل الانتحاري، لكن هل يمكن تخريبها أو تعطيلها؟

أعتقد أن أفضل طريقة لذلك هى أن يدرك العضو، وهو فى طور الإعداد، وأن يؤكد له أنه لا يوجد أصلا مكافأة تنتظره بعد أن ينتحر، وإنما هو يقتل نفسه، وغيره من أجل لا شيء.

سجن العضو أو عزله عن رفقائه لا يحل المشكلة، فلقد عاش مفجرو برجى ١١ سبتمبر، واندمجوا فى المجتمع الأمريكى شهورا كاملة وتدربوا على

قيادة الطائرات، ومنهم من عاش حياة عادية وذهب إلى الاندية الليلية، ومع ذلك نفذوا الخطة !!

إن الحل لا يكمن فى العزل، أو السجن، إنما يكمن فى تغيير القناعات الداخلية.

obeikan.com

النبوءات

النبوءة لدى التنظيمات الإسلامية لها وقع خاص، لكنها بلغت مبلغًا عظيمًا لدى داعش وتنظيمات الشام، حتى أنه ما وقع حادث إلا وضعوا لها تصورات ورؤى تصدر عن تأويلات لنصوص دينية، ونبوءات، لما يسمى أيام الملاحم الكبرى التى تقع قبل وقوع الساعة.

تبدأ النبوءات من راية داعش والقاعدة، وهى راية سوداء مكتوب عليها «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، فلون الراية والمكتوب عليها ورد فى النبوءة التى تشير إلى شكل راية الطائفة المنصورة التى تنتصر فى آخر الزمان.

ويتعلق البغدادى بإحدى النبوءات والأحاديث التى تشير إلى «إنها ستكون نبوة ما شاء الله أن تكون ثم خلافة على نهج النبوة ثم ملكا عضوضًا، ثم ملكاً جبريًا، ثم تعود خلافة كما كانت»، ويصر على أن يعلن الخلافة، ويعتلى مسجد الموصل، ويرفض أن يذهب إلى أى مسجد فى الرقة عاصمة دولته، حتى يحاكى هارون الرشيد الذى خطب فى ذات المدينة، فيما لا يشك أتباعه الدواعش لحظة، أنه ليس خليفة آخر الزمان.

وتأتى نبوءة دابق، لتأخذ حظها الكبير، فالنبوءة تتحدث عن معركة ما قبل الساعة الأخيرة، التى ستجرى فى دابق بين الجيش الكبير للروم، والطائفة المنصورة من المسلمين، حيث ينتصر المسلمون على ٨٠ دولة، وعلى هذا فقد تحدث أتباع تنظيمات الشام وداعش على أنهم الطائفة المنصورة، مستعجلين نزول قوات التحالف على الأرض فى المعركة البرية، حتى ينتصروا.

وبمجرد أن يسمع التنظيم رقم «١٢» ورقم «٦٢»، إلا ويشعر أن النصر قد

اقترب، ورفع أنصاره على مواقع التواصل الاجتماعى «دابق موعدنا»، استنادا إلى رواية وردت فى صحيح مسلم، عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق (منطقة تتبع أنطاكيا جنوب تركيا) أو بدابق (تتبع حلب شمال سوريا)، فيخرج إليهم جيش من المدينة (يرجّح أن تكون دمشق بحسب تفسير ابن كثير)، من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافّوا، قالت الروم: خلّوا بيننا وبين الذين سُبُوا منّا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلّى بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم فيُهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا (الذين يرتّدون عن الإسلام بسبب الفتن بحسب ابن كثير) أى لا يلهمهم الله التوبة، ويُقتلُ ثُلث هم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث، لا يفتنون أبدا، فيفتتحون قسطنطينية».

واستعان أنصار التنظيم عبر حساباتهم بحديث آخر مسند، يشير إلى أن المعركة فى دابق ستكون «عظيمة» تضم مئات الآلاف من المقاتلين، وينص الحديث فى نهايته على أنه «تغدر الروم وتجمع للملحمة فيأتونكم تحت ثمانين غاية (راية) تحت كل غاية اثنا عشر ألفا»، ما يجعل تقدير العدد الإجمالى للجيش الذى سيخوض المواجهة مع المسلمين ٩٦٠ ألف رجل من ٨٠ دولة، ولما أعلن جون آلن، منسق التحالف، نيته التوجه إلى دول شرق آسيا لتوسع التحالف الدولي، الذى يضم ٦٢ دولة، اعتبر أنصار «داعش» أن ذلك علامة تؤكد أن «النبوءة» ستتحقق، ويبلغ العدد ٨٠، ليكون موعدهم باعتبارهم الطائفة المؤمنة المنصورة مع الروم، أى أوربا.

المنظر الجهادى الأردنى أبو قتادة، نظر إلى القتال فى الشام، أنها نبوءة آخر الزمان، التى ستغير وجه العالم الإسلامى، قائلاً: «الأمر الآن هو سقوط طاغوت سوريا، وهو أمر سيغير صورة العالم الإسلامى فى منطقة بلاد الشام، أرض الوعود والحشر والنبوءات فى معركة سيطول أمدها، لأن الأمر فيها ليس أمر الطاغوت وجنده فقط، بل سيمتد إلى الزنادقة الروافض فى العراق ولبنان

وإيران، والمقاربة أن الوصف الحقيقى لهذا الحراك أنه مقدمات حصول الوعود الإلهية بالنصر والتمكين».

ورأى حزب التحرير الإسلامي، الذى أسسه الشيخ النبهانى فى الأردن، أن ما يجرى فى الشام هو السبيل الوحيد لإقامة دولة الخلافة، التى يعتبرونها من أصول الدين، وفق نبوءات آخر الزمان، وفق ما جاء فى كتيب أصدره الحزب – ولاية سوريا، عنوانه «القول الفصل فى أحاديث الشام (دار عقر الإسلام): «إن الله قد فضَّل الشام وجعلها فسطاط الإسلام، فإن صحَّ منكم العزم، وخلصت منكم النية، واستقامت طريقكم على نهج رسولكم صلى الله عليه وسلم، فإننا سنشهد بإذنه تعالى عما قريب أحد أبطالكم يرفع لواء دولة الخلافة الراشدة الموعودة فوق دار أمير المؤمنين بحول الله وقوته».

مشايخ السلفية فى مصر، ليسوا بعيدين عن الحديث عن النبوءات، إذ إن الداعية المصرى محمد حسان قال فى فيديو على اليوتيوب: «إن ما نراه بأعيننا فى سوريا، ونستمع إليه من وكالات الأنباء، وعبر الفضائيات، ونشرات الأخبار قد تحدث عنه النبى المختار صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى».

النبوءات، وما يسمونها أحاديث آخر الزمان والملاحم، تدفع غالبية أبناء الحركات الجهادية المسلحة، لبذل أرواحهم، وللتضحية بكل شيء، على اعتبار أنهم المؤمنون حقاً، الذين شرفهم الله بالانضمام إلى إمام آخر الزمان، وتسقط كل جماعة منهم، تلك النبوءات عليها، ولا يشك أفرادها لحظة، أنهم طائفة ظاهرين على الحق، لأنهم أسقطوا ما ورد فى النصوص على الواقع بحسب قراءتهم وفهمهم، وأولوها تأويلاً منحرفاً، مثل باقى تأويلاتهم للنصوص التى لا تفهم النص وفق سياق الواقع وأحداثه ووقائعه.

نشر الوثائقيات

يجب أن ندرك أن عقل التنظيمات المسلحة يركز على محور هام، وهو الدعاية، التى يرى أن لها التأثير الأكبر على الشعوب.

سنرى أنه فى الوقت الذى أنتجت فيه الفضائيات العربية عشرات المسلسلات فى شهر رمضان، وأنفقت مئات الملايين على هذه الأعمال، ينتج داعش خلال كل شهر فيلما على الأقل، لم يتكلف إلا أجر عامل البوفيه فى استديو تصوير، على سبيل المثال (لهيب الحرب)، (من الذل للعز)، (اقتلوا أئمة الكفر)، و(الله متم نوره).

طبعاً المقارنة ظالمة بين مسلسلات درامية وفكاهية، وبين فيلم وثائقي، أنتجه التنظيم بجهود ذاتية، وبمعرفة اللجنة الإعلامية التى يشارك بها القيادى من أصل أمريكى أحمد أبو سمرة.

«من الذل إلى العز» فيديو يوجد به خيال خصب جداً، فهو يتحدث عن مجموعة من الشباب الأفريقيين الذين يظهرون فى الفيلم، حيث يتحدثون عن الدولة الموعودة، دولة الخلافة، فى مدينة سرت، ويدعون الآخرين إلى الانضمام إليها، لأنها «تحكم بالشريعة»، و«تحقق المساواة والعدالة بين الجميع».

أما فيلم «والله متم نوره»، الذى أنتجته ولاية صلاح الدين، التابعة لدولة داعش فى العراق، يقدم هو الآخر مشاهد من الحياة اليومية فى الولاية، من القتال، ومن الحياة الطبيعية العادية، مثل الأسواق، حركة البيع والشراء، الحسبة، عودة الجنود من القتال، جباية الزكاة، وغيرها من مفاهيم وتطبيقات يرى أعضاء التنظيم وأنصاره أنها تطبيق لمعنى الدولة الإسلامية، وتداعب الخيال العام

للتراث الفكرى الإسلامي، كما تداعب عواطف الشباب والعناصر المستجدة.

فيلم آخر هو من إصدار وكالة ''الفرقان'' يحمل اسم ''رنين السيوف''، وقد انتشر بسرعة كبيرة فى الشبكة، واكتسب شعبية هائلة، فهو يصور العديد من مشاهد الهجمات العنيفة، وأعمال الإرهاب، وعمليات الإعدام التى نفذت من قبل أعضاء التنظيم، فى الوقت ذاته، عرض الأعضاء العاديين، الذين يعلنون الولاء ''للخلافة''، وكذلك العمل الاجتماعى فى ''الدولة الإسلامية''، وفى هذا الأخير، على وجه الخصوص، تُظهر اللقطات جنودًا من الجيش والشرطة العراقية، يسامحهم مسلحو «داعش» ويغفرون لهم بكل سخاء.

داعش ورغم أنها منظمة إرهابية لديها استوديوهات مهنية خاصة بها، «الفرقان»، و«الحياة»، تم إنشاؤها أصلا لهذا الغرض، وعلينا أن نعترف أن مؤسساتها الإعلامية حققت ثورة نوعية، تحديداً نوعية الأفلام الدعائية، ففى هذه الأفلام، يتوفر كل ما يريد الجمهور رؤيته: صورة كاميرا عالية الجودة، حوار، حبكة متماسكة، وبطبيعة الحال المحتوى الذى يجذب الكثيرين.

فى الوقت الذى تفعل فيه داعش ذلك، رغم هزائمها على الأرض، ورغم السؤال الذى بدأ يطرح الآن (ماذا بعد داعش؟)، ننتج نحن بمئات الملايين مسلسلات وأفلاما قد تدعم التنظيم.

نضرب مثلاً ببرامج المقالب التى تتشبه بداعش، وتكرر ما يفعله التنظيم، كأنها أرادت أن تؤكد حقيقة، أن التنظيم أصبح جزءًا من حياتنا، وهو بعض منّا، كما أنه مرعب لنا، بالشكل الذى نرعب به ضيوف الحلقات، بأعلامه، وحركاته، وعناصره.

كم وثائقى عرض فى فضائياتنا لمواجهة الأفكار المتطرفة؟ كم مسلسل تاريخى صححنا فيه التضليل والتزييف المحشو فى عقولنا؟ وكم فى ذات الوقت مسلسل وفيلم وبرنامج روج السخافة، ونشر الخرافة، فى أصعب الظروف التى

يواجهنا فيها خطر التنظيم؟.

من الضرورى جداً أن نهتم بمثل هذه الأمور، ومن الضرورى أن نفكر أن التنظيم لن ينتهى عسكرياً فقط، بل يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار مناقشته فقهياً وفكرياً، عبر خطاب إسلامى معتدل بديل، يمتلك المصداقية والعمق فى الولوج إلى عقول الشباب الصغار، لأن عقله الاستراتيجى يخطط بدقة لمثل هذه الأمور.

opeikan.com

خلق المورد البشري

خلق نقطة الانطلاق الاستراتيجية، ومحطة انتقال البشر المنضمون للتنظيم، لا تخلو أية استراتيجية منها، لأنها تمكن تلك الجماعات من تهديد الأنظمة.

على سبيل المثال لا الحصر، فى وثيقة حصلنا عليها، من أحد قيادات فصائل ليبيا الموالية لحفتر، اكتشفنا أن فى طرابلس وحدها ٢٦ فصيلاً موالياً للقاعدة ولجماعة الإخوان، وهم كتيبة شهداء طرابلس، الحركة الوطنية للتحرير والتنمية، كتيبة ثوار طرابلس، كتيبة شهداء العاصمة، كتيبة شهداء العلاونة، لواء أحرار ليبيا، كتيبة شهداء بوسليم، كتيبة شهداء درنة، كتيبة شهداء قصر بنى غشير أ، كتيبة شهداء قصر بنى غشير ب، سرية مدينة الحدائق، كتيبة درعة، كتيبة أبو عصام، كتيبة خالد بن الوليد، كتيبة صلاح الدين، كتيبة غابة النصر، كتيبة عين زارة، كتيبة خليفة أبو ستة (الريانية)، تجمع الكلية، سرية عروس البحر، سرايا أسود طرابلس، كتيبة عشرين رمضان، كتيبة التوحيد، سرية المجد، كتيبة أوفياء ليبيا، كتيبة بن دخيل.

مما لا شك فيه أنه بهذا الشكل لن تحل مشاكل ليبيا ولو جاءوا بألف حكومة وفاق، لأن الميليشيات فى الحقيقة هى الحاكمة فى الدولة الليبية وليست الحكومة، وأن الدولة تم تقسيمها إلى مجموعة من القطع، كل جزء فى يد ميليشيا.

من المؤكد أن مصر تعلم هذا، وأنها تعلم كذلك أن ليبيا هى المورد البشرى لجماعات التكفير، والدليل عودة العمليات الإرهابية فى سيناء خلال الأسبوع الفائت، وحتى أمس الأحد.

حينما اقتحمت قوات الأمن المصرية شقة بمدينة نصر، وقبضت على عدد من أعضاء السلفية الجهادية، ومنهم أحد التوانسة، كان بحوزتهم «كشكول»

معنون بـ «فتح مصر» يؤصل شرعياً لوجوب الخروج على الحاكم، الذى لا يحكم بما أنزل الله وبوجوب قتال كل من يقف حائلاً دون ذلك، وفى مقدمتهم الجيش والشرطة.

تم سؤال المقبوض عليهم عن «الوثيقة» ذاتها، ومنهم التونسى على سعيد المرغني، الذى اعترف فى تحقيقات النيابة، أنه عبر الأراضى الليبية إلى مصر، وأنه كان بحوزته ٤ قطع لحزام ناسف.

القيادى الجهادى، الذى تم الإفراج عنه الأيام الماضية، وأحد مؤسسى تنظيم الجهاد بمصر، صرح لى، أن جميع الأسلحة، والمسلحين ينتقلون إلى مصر عبر ليبيا، فالصحراء الغربية الشاسعة، حيث الحدود «الليبية المصرية» مترامية الأطراف.

راجعوا على (اليوتيوب) خطب القيادى محمد جمال الكاشف، أثناء محاكمته، وكيف يهدد الحكومة، وهو الذى أفرج عنه فى موجة إطلاق السجناء، ثم تم اكتشاف أنه من قام بتفجير القنصلية الأمريكية ببنى غازى، وأنه أعد تنظيماً ضخماً بالمحافظات المصرية، وكل ذلك تم صدفة، حين كان أحد ضباط جهاز الأمن الوطنى الذين جرى تسريحهم من أعمالهم بعد ثورة ٢٥ يناير يشاهد التلفاز، فرأى أحد أوجه المهاجمين الذى استشعر للوهلة الأولى أنه وجه لم يكن غريب عليه، وكان صاحب الوجه محمد جمال الكاشف «أبو أحمد»، فأبلغ الضابط بدوره المسؤولين الذين كانوا فى الجهاز، وبدأت مراقبة «أبو أحمد» وكان اكتشاف الصيد الثمين قادماً أيضاً من ليبيا، ليدير أخطر شبكة إرهابية خططت لاستهداف السفن المارة فى قناة السويس بالزوارق الحربية، واستهداف المواطنين الأقباط ودور عبادتهم لإحداث فوضى عارمة فى البلاد.

أما هشام عشماوى فهو لا يزال يدير المجلس العسكرى بدرنة، فبعد مشاركته فى حرب القذافى وارتباطه بقادة القاعدة فى شمال أفريقيا، تحول

إلى سوريا للمشاركة فى الحرب هناك إلا أن اندلاع ثورة الـ٣٠ من يونيو، والإطاحة بنظام مرسي، دفعته للعودة إلى القاهرة مجددًا، والتنسيق مع قادة جماعة أنصار بيت المقدس، ثم الهرب لليبيا مرة أخرى، والانضمام إلى جماعة «المرابطين» الإقليمية، التى يقودها الآن، الجزائرى مختار بلمختار، المكنى بخالد أبو العباس، وهى تابعة لتنظيم القاعدة، وكان مركز نشاطها فى جنوب الجزائر وشمال مالي، إلا أن مركز قياداتها الآن أصبح ليبيا.

فضلاً عن ذلك فإن الإخوان فى الملعب الليبى أيضًا، فقد سرد عادل حبارة تفاصيل مثيرة عن علاقته بـأيْمَن الظَّوَاهِرى، وعن وثائق هائلة منها مكالمات هاتفيّة وبريد إلكترونى، واعترافات لـ١١٢ متّهمًا تؤَكّد قطْعياً، وبما لا يدع مجالاً للشك أن جماعة الإخوان استقدمت مقاتلين وأرسلتهم إلى ليبيا للتدريب، ثم العودة لمصر.

اعترف شحاتة أنه انضم لأحد معسكرات القاعدة بليبيا، حيث يمتلك التنظيم معسكرات تدريبية ومليشيات مسلحة بأسلحة حديثة تم الحصول عليها من مخازن سلاح القذافى بعد سقوطه.

فى ذات التوقيت أعلنت كتيبة أطلقت على نفسها «أنصار الشريعة» عن نيتها المشاركة بعمليات مسلحة داخل الأراضى المصرية وذلك وفقا لبيان أصدره التنظيم الشهر قبل الماضى.

كشف التنظيم فى البيان الأول له، عن أنه سيصدر عدة بيانات متلاحقة يبين فيها حكم الحكومة المصرية فى الإسلام ورسائل لأفراد الجيش والشرطة، وكيفية التعامل مع الجيش والشرطة والإعلاميين، ومن أسمتهم رؤوس الفساد، وكيفية تصنيع القنابل اليدوية والمدافع وكيفية ومنهجية العمل تفصيليا لكل مجموعة.

من جانب آخر نجح المصريون الدواعش فى خلق محطة قرب واحة سيوة

فى الطريق من واحة جغبوب لنقل خطوط إمداد جديدة للمقاتلين من تنظيم داعش سيناء، كما كانوا هم من يستقبلون المقاتلين الأجانب من منطقة المثلث الحدودى مع دولة السودان من نقطة جبل العوينات، حيث إن سياراتهم تمر بهذه المنطقة تحت أعين الحكومة السودانية التى تغض الطرف عن المقاتلين والأسلحة التى تنقل يوميا عبر الصحراء الجنوبية الملاصقة للحدود مع السودان ومصر، ومن واحة الكفرة وجبل عبد المالك، إلى جانب ما يجرى نقله من مقاتلين وأسلحة عبر الطائرات من مطار أم درمان السوداني، إلى مطار معيتيقة الليبى الذى يسيطر عليه المتطرفون قرب العاصمة طرابلس.

يستغل الدواعش جبل العوينات وهو منطقة وعرة ليهربوا منه إلى ليبيا أو يعودوا منه للداخل المصرى، ويكثر فى محيطه نشاط للمهربين وتجار الأسلحة والمخدرات، وهو بمثابة نقطة حدودية هشة بسبب طبيعتها الجغرافية المعقدة. بينما يقع جبل عبد المالك داخل الأراضى الليبية وقرب شريط الحدود المصري، وعلى بعد نحو ١٦٠ كيلو مترا من منطقة العوينات، وتوجد واحة الكفرة فى شرق الصحراء الليبية فى مواجهة منطقة الجلف الكبير المصرية.

يجد الأمن بمصر صعوبة كبيرة فى التأمين الكامل للمنطقة الحدودية الغربية، بسبب صعوبة التضاريس فى بعض المناطق.

لا يتحدث أحد كثيراً عن المصريين الدواعش فى ليبيا، رغم أن المعلوم أنه يوجد حوالى ١٦ قياديًا مصريًا فى صفوف داعش بليبيا، ومنهم القيادى جويدة شريف من محافظة مطروح، مدينة برانى، كما يوجد ٩ آخرون من محافظات كبيرة مثل الإسكندرية والقاهرة.

يتمركز المصريون فى الجنوب الليبى حتى يسهل لهم الانتشار والتغلغل داخل الحدود المصرية، لكن هناك مشكلات واجهتهم وهى حرس الحدود والقبائل العربية البدوية التى اصطدمت بهم وأبلغت عنهم الأمن فى أكثر من مرة.

يرجع وجود المصريين مع داعش، منذ وجود ثروت صلاح شحاتة هناك، والمعسكر الذى أقامه عبدالباسط عزوز فى بنى غازى، ووجود الضابط محمد عبد السميع، وشقيقه شريف، من عزبة عبد السلام جنوب محطة السكة الحديد فى مطروح، فى التنظيم.

ووضع داعش بعض المعسكرات بالقرب من واحة جغبوب، وهى الواحة التى ينتقل منها مقاتلوه إلى مصر، عبر حدودنا الغربية التى تبلغ حوالى ١٤٣٢ كيلو متراً، عبر ٤ طرق ملتوية وصحراوية، وهى طريق القوصية أسيوط، وطريق قرية دلجا المنيا، وطريق ينتهى بمدينة ديروط أسيوط، وطريق الفيوم.

حاول التنظيم أن يستغل تلك الطرق فى إدخال عناصر إلى مصر، ونجح بالفعل فى نقل عناصر وأسلحة، وكان يتولى القيادى أشرف الغرابلى هذه المهمة، لأنه كان يتولى قيادة المنطقة المركزية للتنظيم وهى القاهرة، كما يشرف على منطقة الواحات، إلا أن يقظة رجال الأمن جعلت الشرطة تصل إليه، وتم قتله.

سيطر داعش ليبيا على مناطق فى مدينة سرت ومحيطها، ولديه خلايا فى العديد من مدن ليبيا، حيث يسعى لتوسيع نطاق سيطرته، ونجح فى تنفيذ هجمات فى مختلف نواحى ليبيا.

تعد منطقة الصحراء الليبية الجنوبية، وأهم مدنها الكفرة فى الجنوب الشرقى وسبها وغات فى الجنوب الغربي، من أخطر المناطق التى يسيطر عليها مجموعات قبلية مسلحة صغيرة، والجماعات المسلحة العابرة للحدود مثل تنظيم القاعدة فى بلاد المغرب الإسلامي، و«جماعة الموقعون بالدم»، و أعلنت مؤخراً جماعة ليبية مجهولة تسمى «مجاهدى ليبيا»، مبايعة أبو بكر البغدادي، زعيم تنظيم «داعش»، وانضمامها إلى ما يسمى بـ«دولة الخلافة».

التمدد بالهوامش

تنظيم الدولة «داعش» خطط لإنشاء فرع له بصعيد مصر، من أجل نقل المعركة إلى منطقة أخرى بعيداً عن سيناء، ومن أجل أن يساهم ذلك فى فك الحصار على التنظيم بالعريش ورفح، ونجح بالفعل فى إدخال عناصر عن طريق ٤ طرق فرعية موجودة فى الصحراء الغربية، وهى طريق دلجا، وسمالوط، والقوصية، وديروط، وكلها تمتد ناحية الفرافرة، وسيوه، ومنها لواحة جغبوب بليبيا.

التنظيم أقام مؤخرًا معسكراً بالصحراء الغربية فى منطقة متوسطة بين محافظتى المنيا، وأسيوط، وجاءت عملية السياح المكسيكيين، لتكشف عن خطورة ما يجرى، وتدفع القوات الأمنية بالبحث بجد ونشاط عن أعضاء داعش، الذين بدأوا يلاحظون بشكل شبه يومى وهم يتنقلون بسيارات دفع رباعى، وكذلك وهم يتلقون التدريبات العسكرية.

بدأت العملية الأمنية، عقب اشتباه «عرب جبل ديروط» فى المجموعة الإرهابية «الملثمة»، والتى كانت مسلحة، وتستقل ٣ سيارات بيضاء، وتحمل ما يزيد عن ٢٩ شخصاً، وتحمل رايات «داعش»، وعلى الفور أطلق العرب عليهم الرصاص، فبادروهم بإطلاق الأعيرة النارية، لتنتقل بعدها قوة مكبرة من الجيش والشرطة للسيطرة على الموقف.

جرت العملية تحت إشراف «المنطقة الجنوبية العسكرية»، لتلاحقهم القوات على بعد ٥ كم من الطريق الغربى بأسيوط داخل الصحراء، أمام مركزى «ديروط والقوصية».

تبادل الداعشيون النيران مع الجيش، وسيطر الجنود على الموقف، وقتلوا ٢٠ منهم، بينهم أجانب، وألقوا القبض على ٩ آخرين، يتم استجوابهم لمعرفة باقى أعضاء التنظيم.

العملية التى قتل فيها سياح المكسيك كشفت عن نشاطات إرهابية فى تلك المنطقة، التى كانت الدولة أحياناً تخفى أن فيها تنظيم داعش.

كان من المعروف أن المستهدف بعد سيناء هو الصعيد لتشابه البنية الاجتماعية القبلية بينه وبين وسيناء، وكل هذا بالتزامن مع السيولة الحدودية التى أصابت الدولة، وما زالت تبعتها موجودة، إضافة للتوتر على الحدود الجنوبية والغربية.

داعش كانت ستصبح غبية لو لم تستغل السيولة الحدودية والبنية الاجتماعية القبلية الموجودة بالصعيد، وحالة التمدد الإخوانى المعروفة فى أسيوط والمنيا تحديداً، ولذا فقد نقلت عناصرها إلى أماكن بأسيوط والجيزة والمنيا وقنا، حتى يتسنى لها الهروب بعيدًا عن أعين الأمن، والحياة فى بيئة لها موروث أصولى متجذر.

الصعيد المنغلق كذلك على نفسه، والمحافظات غير المتجددة تنموياً، ومستوى الفقر الشديد الكبير، الذى أدى إلى جمود فكرى ومجتمعى، وطبيعة القبيلة المنغلقة، التى تختلف عن القبلية المنفتحة فى سيناء، فضلاً عن القبائل السيناوية التى لها امتداد فى الصعيد، مثل السواركة، وامتدادها فى سوهاج وهى جهينة، كانت هى أدوات التمدد الفكرية واللوجستية والاستراتيجية لداعش.

من ناحية الحدود، سيناء منطقة تحت المجهر لحساسية جغرافيتها، أما الصعيد فهو فى الربع المهمل، ولذا فإن الصعيد كان إلى ٢٠١١ هو مصدر تسليح القبائل فى سيناء، وأحد روافد تسليح التنظيمات المقاومة فى غزة، بعد الحصول على الأسلحة من المصانع الإيرانية فى السودان، وكانت التسليح يسير

فى نفس خط سير المهاجرين غير الشرعيين الأفارقة إلى إسرائيل.

رموز الفكر الأصولى وحواضنه موجودة فى مدن وقرى الصعيد والأمثلة لا حصر لها، لكن المثال الأوضح هو زعيم تنظيم داعش، وأحد مؤسسيها، وهو عبدالمنعم عز بدوى، أبو حمزة المهاجر، وأول وزير حرب لها، فهو من محافظة سوهاج.

التحرك الداعشى فى الصعيد كان محسوساً فى الفترة الأخيرة، وأعتقد أن هناك محطات نزلت عليها داعش، وهم مجموعة من الأصوليين القدامى، فلا يعقل مطلقاً أن تتحرك داعش فى مساحة خالية، أو مساحة مجهولة، لكن فى الختام، إن الضربة التى تعرض لها التنظيم قوية، ويمكن ملاحقة الهاربين، ومواجهتهم أمنيًا وفكريًا.

obeikan.com

تغيير البوصلة

تنظيما «القاعدة»، و«داعش»، غيرا من استراتيجيتهما، وخياراتهما الجغرافية، وجريا وراء بعضهما، ليوجها البوصلة باتجاه أفريقيا.

فى دراسة مطولة، وقديمة، للقيادى «أبو عزام الأنصاري» أعاد نشرها منتدى منبر الإعلام الجهادي، الناطق غير الرسمى باسم داعش، أكد أن كثيراً من القادة العسكريين الجهاديين أتوا من شمال أفريقيا (مصر، ليبيا، الجزائر، موريتانيا)، وهو أمر له دلالات ومؤشرات ساعدت على التفكير فى تغيير الخطط للتواجد بقوة، وتحديداً فى شمال أفريقيا.

أبو عزام الأنصار أعاد التأكيد، على أن المناخ فى الشمال والجنوب الأفريقي، مناسب لاستغلاله لإعادة الانطلاق من القارة السمراء مرة أخرى، إلى أماكن أخرى فى العالم.

من بين الأسباب التى ذكرها الأنصارى فى دراسته، خروج عدد كبير من قيادات تنظيم «القاعدة» من دول أفريقيا الشمالية، وانتشار المد الجهادى فى بعض الدول مثل: مصر، الجزائر، السودان، موريتانيا، المغرب، ليبيا، الصومال، اريتريا، تشاد. إضافة إلى الحال السياسيّة والعسكريّة التى تعانى منها معظم بلدان هذه القارة، وحالات الاقتتال القبلى فى مختلف هذه البلدان.

تحدث أبو عزام عن مناطق أخرى فى القارة السمراء يجب استغلالها، لأنها غير موضوعة فى اهتمام العالم، مثل دولة سيراليون، ومدغشقر، مشيراً إلى أنها أماكن جيدة للسكن، والانتقالات.

وقال الأنصارى، إن حال الاقتتال والحروب الدائرة فى القارة السمراء وفّرت فرصاً لا تحصى للقيادات التنظيمية فى التنقّل بسهولة بين بلدان هذه القارة، وسهّلت أمور التخفّى والتحرك، فأصبحت فى كثير من الأحيان لا تحتاج إلا إلى الأموال لتنفيذها، كما سهّلت الحروب الحصول على الأسلحة.

أشار الأنصارى إلى موقع القارة التى تشكّل أحد المعابر إلى فلسطين، وأن وجود تلك الجماعات سيشكل ضغطاً على إسرائيل، ونمو الجماعات سيؤثر على الجو العام فى مصر، والأردن، ويشكل حافزاً لانضمام العديد من العناصر.

هذا ما ذكره موقع داعش، منبر الإعلام الجهادى، فى نقله لتلك الدراسة، أما ما ذكرته وكالة «فرانس براس» نقلاً عن صحيفة ألمانية، فإن اجتماعاً استمر ٣ أيام، ناقش استراتيجية جديدة إقليمية، لتنظيم القاعدة، قائمة على التنسيق والوحدة بين الجماعات الموالية للظواهرى، لتكون فى مواجهة تمدد داعش، والعمل على وضع خطة لتدفق المقاتلين الإسلاميين من مصر وتونس، وإعادتهم مرة أخرى بعد تلقيهم تدريبات عملياتية بليبيا.

الواضح فيما سبق، أن هناك حصاراً خانقاً الآن فى منطقة الشام، وخوفاً من الشلل الذى قد يصيب التنظيمين معاً، فكلاهما يعمل بجد على إعادة التموضع فى أفريقيا والبدء فى رحلة التنقيب فى الأراضى الأفريقية الخصبة لتجد لها ملاذاً آمناً تستعيد فيه أنفاسها، وتعاود عملياتها الإرهابية مرة أخرى؟!

ومن المعلوم أن اهتمام «القاعدة» وتواجدها فى أفريقيا ليس بالأمر الجديد، فهى لديها تجارب سابقة، كتفجير السفارتين الأميركيتين فى كل من كينيا وتنزانيا، ومعركة المجاهدين فى الصومال ضد الوجود الأميركي، واستيطان قيادة «القاعدة» فى السودان لفترة، أما داعش فقد نقل مقر قيادته بالفعل إلى سرت، لكن الجديد هنا، هو التفكير بجدية لنقل القيادات الحركية للقارة السمراء، ومع الطبيعة القبلية، والصراعات والاضطرابات والحروب الداخلية

والميليشيات المتمردة، سيسهم ذلك فى زرع التربة الأفريقية بالألغام والقنابل والتنظيمات، لإعادة إنتاج نفسها بشكل مغاير.

فى الختام، لست مع الذين يقولون إن المد الجهادى اقترب من نهايته، وإنها فترة وجيزة تفصلنا عن نهاية داعش والقاعدة، لأن التنظيمين معاً، يخططان ويجد للانتقال لأماكن أخرى، والقارة السمراء هى الموعد.

obeikan.com

التحول إلى المحلية

من قرأ ما كتبه أبو بصير الطرطوسي، الشيخ الروحى للجهاديين، ونقده للظواهري، يلمس أن القاعدة المعولمة انتهت، وأن الصعيد الأيديولوجى، والواقعى يؤكدان ذلك، حيث إنّ الأيديولوجيا الملتبسة التى تم تأسيس التنظيم عليها، وهى الحرب الشاملة للعالم، جعلها تتحرك فى مساحة رمادية، بين المحلى والعالمي، بين قتال العدو البعيد والقريب، وجاءت الظروف الواقعية التى أعقبت ثورات الربيع العربي، لتحسم لدى بعض الفصائل خيارات أخرى، وكان هذا أشبه بعملية تفجر داخلى للانشقاقات داخل التنظيم.

تمثلت معضلة القاعدة الأولى، أنها ليست جماعة واحدة، بل مجموعة من الجماعات، يمكن أن نصنفها كالتالى، جماعات حليفة (متحالفة مع التنظيم فقط)، وجماعات شريكة (متشاركة معها فى الأهداف) وجماعات متماهية (أصبحت فى صلب النواة للتنظيم).

هذه التصنيفات السابقة فى النهاية أدت إلى نتيجة مفادها، أن القاعدة ليس شيئاً واحداً، وأن الأيديولوجية التى تقوم على التمازج والالتحام بالفصائل الإسلامية الأخرى، أدت فى النهاية إلى تعميق جراح التنظيم، وإلى تفتته، على سبيل المثال، الانشقاق الضخم لتنظيم الدولة فى العراق، عن بيعة الظواهرى.

يقول الطرطوسي: لو عزم الشيخ على إزالة العقبة (الكأداء)، وهى ارتباط جبهة النصرة بالقاعدة، وباستراتيجيتها، التى لا تناسب قط جهاد وتطلعات الأمم والدول والشعوب، والتى بات الارتباط بها ضرراً محضاً لا مرية ولا شك فيه، ولا يُقبل من الشيخ ولا غيره أن ينادى بالوحدة.. ثم هو فى نفس الوقت

يحرص على الأسباب التى تمنع من تحقيق هذه الوحدة، التى منها إلزام أهل الشام ومجاهديهم بأن يتحدوا تحت مسمى واستراتيجية القاعدة، فيكون مثله مثل من يقول بالشيء وضده معاً، وهذا لا يليق!.

تشجع الطرطوسي، فقيه تنظيم القاعدة، أيضاً مطالباً الظواهرى بالاعتذار قائلاً: جيد من الشيخ أيمن بعد خمس سنوات!! أن يشير إلى خارجية جماعة الدولة (داعش)، وأنهم خوارج سفهاء.. لكن عليه فى آن معاً أن يملك الجرأة الأدبية على أن يسجل اعتذاره للشام وأهل الشام.. لأن الخوارج هؤلاء ما كانوا ليكونوا فى الشام لولا القاعدة.. فالقاعدة هى التى جلبتهم إلى الشام.. وصنعت لهم بادئ ذى بدء الدعاية.. ومهدت لهم ومكنتهم فى الشام.. وهذه حقيقة يدركها الجميع، فهل يفعلها الشيخ؟!.

الطرطوسى يريد جبهة النصرة أن تنفصل عن القاعدة، حرصاً على ما أسماه (الجهاد السورى)، وهى الاستراتيجية القائمة على «استرضاء المجتمع»، عبر ما يسمى تكوين الجبهات والتحالفات الداخلية، وهى أفكار يؤمن بها عدد كبير من قيادات القاعدة الآن، بل وتؤمن بها فصائل مثل (أحرار الشام)، وهو ما أوجد صراعاً عميقاً مع جناح القاعدة المعولم، ومشايخ التنظيم، مثل أبى قتادة، وأبى محمد المقدسى.

فى أفغانستان لا ترى طالبان ذلك، وأعلنت صراحة أنها تحارب القوات الأجنبية على تراب أفغانستان فقط، وأنها لن تهدد المصالح الغربية، وأنها حركة إسلامية قومية من (البشتون).

ترى أحرار الشام فى سوريا، أن المشروعية الدولية لوجودها يقتضى أن تكون حركة قومية وطنية، وأن يكون جهادها خاص من أجل السوريين، ما جعل أبو قتادة يرد عليها قائلاً: خطاب الحركة «فاشل، وسيجعلها تُعادى محيطها الإسلامى الداعم لها، خصوصاً التيار الجهادى الذى هو عصب الحركة

الجهادية بكل ألوانها وأطيافها».

المسألة فى أحرار الشام ليست لها علاقة فقط بالوطن السورى، بقدر ما لها علاقة بـ"المظلة الجهادية"، و"المظلة السلفية"، فهى علاقة عكسية، فكلما اتسعت الأولى ضاقت الأخرى، واتجاه الحركة لأن تكون سلفية خالصة أكثر، أثر على توجهها الجهادى.

ليست سوريا فحسب، قد اتضح فيها هذا البون مع نظرية الجهاد العالمى، بل فى أفغانستان التى كانت مهد التنظيم، ونظريته القائمة على أساس خلق مركز للجهاد العالمى فى أرض إسلامية، ثم الانتصار على المعتدين، وإقامة دولة إسلامية، ثم الانتقال لأرض إسلامية أخرى.

فى تنظيم القاعدة شهدنا عدة أنواع من الأنماط، وهى النمط الاندماجي: الذى يقوم على توحيد هيكل القيادة والتحكم، والدمج التام للقوات المقاتلة، ونمط المظلة الأيديولوجية، الذى تلتزم فيه جماعات شريكة وحليفة نفس الأفكار، والتمويل وغيرها.

بمرور الوقت، أصبحت القاعدة حاضنة أيديولوجية، وبؤرة لفصائل قد لا تحمل نفس الاستراتيجيات، وهو الذى أسهم فيه الإنترنت، حيث أسس وحدة افتراضية بين أفراد وجماعات، لا ترتبط تنظيمياً.

الخلاصة، القاعدة تغيرت، ومن استمع لخطاب الظواهرى الأخير، سيرى كيف أنه لم يستخدم اللغة التقليدية القديمة، مثل تقسيم العالم لفسطاط الإيمان والكفر، بل استخدم مفردات أخرى، مفردات التنظيم المتحول من العالمية، إلى المحلية.